

**دولة ليبيا**

**جامعة الزاوية**

**إدارة الدراسات العليا والتدريب**

**كلية الآداب بالزاوية**

**قسم الفلسفة**

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير)

في الفلسفة بعنوان

**الفكر الاصلاحى عند مالك بن نبي (دراسة تحليلية)**

**إعداد الطالبة**

**سهام ابوالقاسم الصيد**

**إشراف الاستاذ الدكتور**

**أ. د. سالم حسين العادي**

**العام الجامعي: 2023م**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

اللَّهُ  
صِدْقٌ  
الْعَظِيمُ

سورة البقرة: الآية (32)

**الإهداء**

**إلى الذين أثاروا قنديلنا فنوره من نور قنديلهم**

**إلى روح والدي الطاهرة**

**وإلى والدتي الغالية أطل الله في عمرها**

**إلى إخوتي وأخواتي**

**إلى زوجي وأبنائي**

**إليهم جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع**

## الشكر والتقدير

بعد حمد الله وشكره ، أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل والمشرف علي رسالتي هذه الاستاذ الدكتور سالم حسين العادي لتوجيهاته العلمية ومتابعته رسالتي، وتصحيحه لعثراتي بكل صبر وسعة صدر رغم انشغالاته الجمة .  
كما أتقدم أيضا بالشكر إلي الذين أعانوني وإلي كل من شجعني من الأهل وهيئ لي الظروف المناسبة لإنجاز الرسالة .  
وختاماً أتوجه بالشكر والتقدير إلى الاستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة الاستاذ الدكتور سالم مصطفى القريض والاستاذ الدكتور زريمق مولود أبوظلاق لقبولهما مناقشة رسالتي هذه ، فجزاهما الله عني خير الجزاء .

بالباحثة

## المقدمة :

إن الذي لا يعرف مالك بن نبي، قد يتصور لأول وهلة أنه صاحب اختصاص في علم الاجتماع أو الأنثروبولوجيا أو سيسيولوجيا المعرفة، ولكن لا يخرج اختصاصه عن العلوم الاجتماعية والإنسانية، وهناك من لا يتوقع أن اختصاصه الأكاديمي هو الهندسة الكهربائية، ذلك أن هذا الاختصاص أفاده كثيرا من زاوية المنهجية وتنظيم الأفكار، والتحليل المنطقي الرياضي للمفاهيم والأفكار، ومن هنا صوّره البعض بمفكر عقلاني صارم المنطق، خاضع لمقتضيات المنهجية الرياضية وحدها .

فقد انتهج مالك بن نبي منهجاً واقعياً في فكره حول الإصلاح، حيث انطلق في تأملاته وأبحاثه وكتاباته من المجتمعات العربية الإسلامية ، والتي تتجلى فيها كل الصعوبات والتحديات التي تواجه الإصلاح، رغم وجود مقومات تضمن لهذه المجتمعات الرقي والتقدم وهذه المقومات التي تمثلت في المنظومة العقائدية والأخلاقية المقتبسة من الوحي الإلهي، ومن وجهة نظر بن نبي فإن الإصلاح لا يخضع لقوانين سحرية مبهمة مجهولة الأسباب بل يخضع لإصلاح وتغيير النفوس، لقد تميز فكر مالك بن نبي بالعمق والشمولية، كونه تناول مشكلات العالم الإسلامي بشمولية وسعت جميع جوانب الحياة الفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكان منهجه فيها هو البحث عن الأسباب الضاربة في الماضي، وقد استطاع أن يشخّص حالة العالم الإسلامي اليوم، ومرضه على أنها حالة اللاحضارة، واللاتقافة، وهذا ما جعل فكره يتميز بأنه جذري، فقد اعتبر أن التغيير يبدأ من الفرد الذي هو عنصر المجتمع، ولم يكن فكره ثوري يؤمن بالتغيير من الرأس والحكم، ولذلك نجده يبرز أهمية الفكرة في تفعيل الفرد (الإنسان) حيث يبدأ بتغيير نفسه من داخلها قبل أن يغير الأشياء التي تحيط به، تمشياً مع الآية القرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ

مِنْ وَالٍ»، وهكذا يتغير المجتمع بأكمله إذا ما غير كل إنسان نفسه وجاءت مقولة مالك بن نبي تعبيراً عن ذلك (غير نفسك تغير التاريخ) .

حقيقة يعد مالك بن نبي من أبرز المفكرين الذين صنعوا مكانتهم بفكرهم الإصلاحية المميز فكان له دور بارز في الحركة الإصلاحية التجديدية المعاصرة، فحظي باهتمام الباحثين والدارسين الذين تناولوا أفكاره بالتحليل والبحث لما لهذه الأفكار من أهمية، ومن هذا المنطلق جاء اختيارنا لهذه الدراسة الموسومة بـ(الفكر الإسلامي عند مالك بن نبي)

### • أسباب اختيار موضوع الدراسة:

تعددت الأسباب حول اختيار موضوع الدراسة بين الذاتية والموضوعية فتمثلت في الآتي :

- الرغبة الذاتية الملحة من قبل الباحثة في دراسة فكر مالك بن نبي الذي يعد أحد وابرز أعلام الفكر الإسلامي في العالم العربي المعاصر.
- التعرف على منهجه الإسلامي المميز عن غيره من المناهج الإصلاحية، والاستفادة من مؤلفاته ، التي تناولت شتى ألوان المعرفة والتي قام من خلالها بدراسة كل ما يساعد على تطور الإنسان والمجتمع من جهة ، ويحافظ علي ثوابت القيم والتعاليم الدينية السمحة من جهة أخرى .
- يعد مالك بن نبي مدرسة من مدارس الفكر الإسلامي المعاصر، حيث انتهج نهجاً مميزاً في دراسة مشكلات العالم الإسلامي وتحليلها تحليلاً دقيقاً .
- حاجة المجتمع إلى تبني أفكاره وتطبيقها في العالم العربي والإسلامي.

## • أهمية الدراسة :

اهتمامنا بالبحث في أفكار مالك بن نبي الإصلاحية سواء علي مستوى الفكر أو الحركة ضمن إطار تحليلي يسمح لنا بسبر اغوار مفهوم الحضارة والثقافة في فكره شكل للباحثة أهمية شديدة لدراسة هذا الحقل من الفكر الانساني عامة والعربي خاصة، وكذا تمثلت الاهمية في هذه الدراسة في كون مالك بن نبي يملك منهجاً تربوياً واصلاحياً اكثر من كونه عالم فقه ، وارشاد واصلاح فقط، وايضا جاءت الاهمية من النظر فيما إذا كان هناك التقاء أو تقارب بين أفكاره التربوية والفكر التربوي والاصلاحي الحديث ؟ .

## • منهج الدراسة .

اما المنهج الذي اعتمدت عليه الباحثة في هذه الدراسة فهو المنهج التحليلي وسيكون ذلك بتناول وذكر آراء وأفكار بن نبي وتحليلها وفق فكره وما يخدم مقتضيات الدراسة .

## \* تساؤلات الدراسة:

- \*- ماهي مصادر الفكر الإصلاحية في فكر مالك بن نبي؟
  - \*- ماهي الأسس الإصلاحية والنهضوية في فكر مالك بن نبي ؟
  - \*- بماذا تميز الفكر الإصلاحية عند مالك بن نبي؟
  - \*- ما موقف مالك بن نبي من الأيديولوجيات الفكرية السائدة في عصره؟
  - \*- هل قدم مالك بن نبي حلولاً للنهوض بالعالم الإسلامي؟
- وللوصول إلى إجابة على تلك التساؤلات وغيرها فقد تم تقسيم الدراسة إلى خمسة فصول وخاتمة علي النحو التالي:

**الفصل التمهيدي** تناول حياة مالك بن نبي وتكوينه العلمي واشتمل على مبحثين اهتم المبحث الأول بسيرة وحياة مالك بن نبي، اما المبحث الثاني فتناول عصره واهم الشخصيات والاتجاهات الفكرية التي تأثر بها، حيث تم التطرق للأوضاع السياسية

والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عصره، وكما تم التعرّيج على اهم رجالات الإصلاح الذين كان لهم أثر بارز في شخصية بن نبي.

أما الفصل الأول: الإصلاح والتجديد عند مالك بن نبي واشتمل على ثلاث مباحث جاء الأول منها بعنوان مفهوم الإصلاح والتجديد الحضاري ، فتم التطرق الى مفهوم الإصلاح والتجديد عند مالك بن نبي ، وفي المبحث الثاني الذي تناول اهم الروافد التي اثرت في تكوينه كالثقافة العربية الإسلامية والتكوين الدراسي والاثر الواضح لبعض الشخصيات التي كان لها دور في تكوينه إضافة الى الثقافة الغربية وما كان لهذا التنوع من اثر في تكوينه، اما المبحث الثالث فتناول شروط الإصلاح والتجديد الحضاري ، لان مالك بن نبي وضع العديد من الشروط لنجاح عملية الإصلاح فكان منها أولاً- العناصر الأولية وهي الانسان والتراب والوقت.

وثانياً الفكرة الدينية، وثالثاً التغيير والشرط الرابع البناء لا التكديس إضافة الى شرط التوجيه.

ووسم الفصل الثاني بـ مشكلة الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي، واشتمل على مبحثين هما: مفهوم الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي، المبحث الثاني طبيعة مشكلة التخلف عند مالك بن نبي.

اما الفصل الثالث: فعنون بموقف مالك بن نبي من الأيديولوجيات الفكرية السائدة فكان المبحث الأول موقفه من التيارات الفكرية الغربية كالرأسمالية والشيوعية وموقفه من القومية والديمقراطية.

اما المبحث الثاني فاختص بموقف مالك بن نبي من التيارات الفكرية الإسلامية كموقفه من الصوفية وعلماء الكلام.

الفصل الرابع: عنوان مالك بن نبي ومستقبل المجتمع الإسلامي المعاصر واشتمل على مبحثين المبحث الأول: واقع المجتمع الإسلامي في فترة الاستعمار، اما



المبحث الثاني تناول أثر العالم الغربي في العالم الإسلامي ، وكما تم تذييل الفصول السابقة بتعقيبات تطرقت لفحوى تلك الفصول ومحاولة الربط بينها .  
وختمت الدراسة بخاتمة تضمنت النتائج التي توصل اليها البحث.

**والله ولي التوفيق**

## **الفصل التمهيدي**

### **مالك بن نبي حياته وتكوينه العلمي**

المبحث الأول: النشأة والتكوين

المبحث الثاني: عصره وأهم الشخصيات والاتجاهات الفكرية التي تأثر بها

## المبحث الأول

### • النشأة والتكوين :

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي، ولد في الخامس من ذي القعدة، عام 1323هـ، الموافق الأول من شهر يناير 1905م، في مدينة قسنطينة ثاني احدي كبريات المدن في شرقي الجزائر.

تحدث مالك عن مولده في مذكراته، حيث قال: " كان مولدي في الجزائر عام 1905م، أي في زمن يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقى حياً من شهوده، والإطلال على المستقبل، عبر الأوائل من رواده، وأضاف قائلاً: وعلى هذا كان لي حين ولدت تلك السنة، الحظ الممتاز، الذي يتيح لي أن أقوم بدور الشاهد على تلك الحقبة، من الزمان" (1).

نشأ بن نبي في عائلة فقيرة، في مجتمع محافظ، تكونت من أبويه وجدته لأمه وشقيقته، واضطرت أسرته إلى الرحيل لمدينة تبسه، لظروف سياسية واستعمارية، وكان أبوه من خريجي المدرسة الرسمية الثانوية الفرنسية الإسلامي فشغل منصب خوجه، بالإدارة بتبسة، فكان دخله لا يكفي لسد حاجات الأسرة، مما اضطرت أمه للعمل، في محاولة لأعانة عائلتها، فاستغلت في مهنة الخياطة، كما قام عم مالك الأكبر بالتكفل بتربيته، فانتقل للإقامة معه في مدينة قسنطينة(2) وعن ذلك قال: " لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر، إذ مات عمي الأكبر في فسنتينيه، وكان قد تبناني من أمد بعيد، مما جعل زوجته تعيدني إلى أهلي في تبسه، على الرغم مما خلف ذلك من أسى في نفسها وفي نفسي، لقد فعلت ذلك لأن أمورها لم

---

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، دار الوعي، الجزائر، 2013، ص15-17.

(2) عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن بني حياته وأفكاره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2012، ص48، 49.

تعد تسمح لها بإعالتني" (1) ومن جهة أخرى كان جده الخضر قد هاجر قبل ذلك إلى طرابلس الغرب إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر، وأخذ معه كل ما يقدر عليه من مال وباع كل املاكه واخذ كل الأموال معه، وفي تبسه عاش مالك طفولته في ضنك من العيش، والفقر، مع عائلته التي كان حالها حال أغلب العوائل الجزائرية التي عانت البؤس والحرمان جراء ما فرضته السلطات الفرنسية على الأهالي والسكان، من إجراءات ومعاملات قاسية (2) .

أما عن تعليمه، فقد دخل مالك الكتاب لتعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم ومبادئ الحساب ، غير أنه ما لبث أن التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية الوحيدة بمدينة تبسه، بعد ما أضيف فيها فصل رابع خصص للصغار من أبناء الأهالي، وفي الوقت نفسه ثابر بالتردد على الكتاب لتعلم القرآن وفي هذا يقول: " كنت اقصد مدرسة تعليم القرآن عند فجر كل يوم وفي الصباح عند الثامنة صباحاً انطلق للدراسة في المدرسة الفرنسية" (3) إلا أنه وجد صعوبة في الاستمرار في كلا المدرستين واخذ يتغيب عن المدرسة القديمة فتعرض للعقاب من أبيه ومعلمه ، فهو على الرغم من السنوات الأربع التي قضاها فيها، فإنه لم يستطع حفظ سوى عدد قليل من سور القرآن الكريم، ومرد ذلك كما يقول لعدة أسباب: " وكنت أجد في ذلك صعوبة كبيرة، أضف إلى هذا الفارق الذي كنت أحس به بين المدرستين والمعلمين كان يجعلني لا أطيق هذا الوضع، فبدأت أتغيب عن مدرسة القرآن القديمة مما كان يعرضني للعقاب المتواصل من أبي ومن معلم القرآن وهذا زاد في كراهيتي لمدرسة القرآن واستمرار هذا الوضع جعل حالتي تسوء في المدرستين، وهكذا اقتنع والدي فانقطعت عن المدرسة

---

(1) مالك بن بني، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص17.

(2) عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن بني، ط2، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص17.

(3) مالك بن بني، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق ، ص 19.

القديمة للقران لكنني ما زلت أحمل بعضاً من ذكرياتي فيها وإن من ذكريات تلك الأيام ما لا يزال في مخيلتي, فقد كنت كباقي التلاميذ أغسل لوحى الحجرى كل صباح فى بركة ماء صغيرة ، تقع عند زاوية المدرسة<sup>(1)</sup> .

وأثناء تواجده بالمدرسة الفرنسية, كان مالك ينتقل إلى قسنطينة لزيارة عائلته بعد أن عرفت الظروف المادية لزوجة عمه الأكبر ، تحسناً ملحوظاً, اثر حصولها على عمل كأمينة صندوق متجر إضافة إلى عودة جده من طرابلس عقب احتلال إيطاليا لها سنة 1911م والذي سرعان ما تعلق به الصبى وأثر فى شخصيته, حيث كان جده ناقماً على الوضع العام للمجتمع, وفى هذه الفترة التي كان فيها منخرطاً فى المدرسة الابتدائية وقد سمحت له الفرصة بمتابعة الأحداث الداخلية والخارجية عبر الصحف وبعض الكتابات، توفرت له من خلال المكتبة الخاصة التي كان يمتلكها والده لاحتوائها على كتب قيمة باللغتين العربية والفرنسية, زد على ذلك تمكنه من الاطلاع على صحيفتي الإقدام والراية المفضلتين لدى والديه، حيث كان دائم الاطلاع عليها وفى هذا الصدد يقول: "كنت ادرس بجد طيلة أيام الأسبوع وبما أنى كنت احرص على كتابة وظائفى يوم السبت, فكانت أحصل على شيء من الحرية يوم الأحد، وبالتالي كنت أقضى يومى كله تقريباً فى مخزن السيد " الشريف برقوقه بقال الحى، وبسبب ظروف الحرب العالمية الأولى ، التي أدت إلى فقدان الورق التجارى المستعمل فى لف المشتريات فقد اضطر كسائر زملائه إلى استبدال الورق المطبوع به<sup>(2)</sup>, فكان لاطلاعه الدائم على تلك المطبوعات والصحف أثره فى تكوين شخصيته فيما بعد، نجح مالك بن نبى فى الحصول على شهادة الدراسة الابتدائية سنة 1918م لم يقبل بالكلية، حيث كان من الصعوبة على طالب من أبناء المستعمرات أن يرسل بعد الابتدائية إلى هذه المرحلة، إضافة إلى ذلك حصوله على درجة جيد فى الابتدائية ، التي شكلت عائناً فى قبوله.

(1) مالك بن نبى، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص19.

(2) المصدر نفسه، ص42.

ولكن استطاع مالك النجاح في امتحان المنح التي ستسمح له بمتابعة دروسه الإعدادية بقسنطينة في مدرسة سيدي الجلي، إذ حضر خلال عام أو عامين المرشحون للدخول إلى المدرسة أو معهد المعلمين، أو ليكونوا مساعدي أطباء في قسنطينة رفقة عمه محمود، وقدمه إلى المدير المسيو مارتن، كما إن التوجيه الذي أرادته له عائلته هو أن يكون عدلاً في الشرع الإسلامي، اضطره للتسجيل في دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس\* الذي كان يعطي دروساً في النحو كل صباح في الساعة السابعة في المسجد، وكان الشيخ من أعداء الطرق الصوفية، وكرهيته لتجاوزات الإدارة الفرنسية، وقد تأثر مالك بشيخه وأورد في هذا المقام قائلاً: " سرعان ما أدركنا عداءه لبعض التقاليد السائد في المجتمع الإسلامي، كالطرق الصوفية، وكرهيته لتجاوزات الإدارة الفرنسية وتصرفاتها"<sup>(1)</sup>.

وفي نهاية السنة الدراسية تمكن بن نبي من اجتياز الامتحانات بتفوق، كان من الفائزين الأوائل، وثم قبله ابتداء من السنة الدراسية "1922/1921" وفي المدرسة الرسمية التي تخرج أعوان القضاء فتجاوز بذلك مرحلة الدروس التمهيدية وتمكن من الالتحاق بالمرحلة التالية، فاستطاع الحصول على سكن داخلي في المدرسة التي سيمكث فيها أربع سنوات وقد كانت تلك السنوات حافلة بالقراءة والمطالعة والتعرف على بعض مشاكل العالم الإسلامي من خلال الكتب والمجلات التي كانت تصل إلى الجزائر، ففي قسنطينة وجد الفرصة لمطالعة "صحيفة النجاح" التي أنشأها مع شاب عاد من جامعة الزيتونة، بتونس، " وجريدة الزهراء"<sup>(2)</sup> وفي تلك الفترة بدأ الحديث يدور بين الطلبة عن الأمير خالد، حفيد الأمير عبد القادر الجزائري وجريدته الإقدام التي دافع فيها عن الشعب الجزائري بعامه، وطلاب

---

\* عبد الحميد بن باديس، ولد 1889م، بقسنطينة إمام ومصلح مجدد، رائد حركة الإصلاح في الجزائر، أسس جمعية العلماء المسلمين، وأصدر العديد من الصحف باسم الجمعية كالشهاب، وإقدام، توفى سنة 1940م، راجع أسعد السحراني، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، دار النشر، بيروت، 1954، ص 45.

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص 110

(2) الطيب بن إبراهيم، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، الجزائر، دار مدني، 2002، ص 38.

المدرسة الذين يعدون أنفسهم لدراسة القضاء الشرعي بخاصة، إذ كان مالك بن نبي أحد هؤلاء الطلاب ، يشعرون بأنهم حملة رسالة قومية، ومع قراءته الواسعة في هذه الفترة المبكرة من حياته، كان يسقط كل شيء يقرأه أو يسمعه على أحداث بلده وعلى مستقبل الإسلام، فقال: " كانت في روعي قوة منبهة تقود كل ما يقع أمام بصري إلى اهتمام مركزي، وكان الإسلام هو ذلك الاهتمام "(1) إضافة إلى ذلك أخذت تبرز الحركة الإصلاحية، بقيادة عبد الحميد بن باديس حيث أخذ الناس يجتمعون حوله ويتركون المقاهي واللهو، فتعرف مالك على بعض تلاميذ الشيخ بن باديس، وفي هذا الصدد يقول: "وقد شعرت بأنه وهؤلاء في اتجاه فكري واحد " (2) .

وفي يونيو عام 1925 تخرج مالك في المدرسة الثانوية الفرنسية الإسلامية ، وبدأت حيرته حول العمل، فلم يكن يستطيع أن يعمل في سلك العدالة، لأنه لم يبلغ السن القانونية للعمل، وهي اثنان وعشرون سنة وكان عمره آنذاك عشرون سنة، وقرر مالك ألا يعود إلى تبسه ، وصمم على الذهاب إلى فرنسا، مع صديق له للعمل هناك وعند وصوله إلى مرسيليا أكتشف صورة اخري من صور البؤس التي يعانيتها المواطن الجزائري من ذلك المستعمر البغيض، وكانت وجهته في فرنسا إلى مدينة ليون تلك الرحلة التي كلفته بيع معطفه ليوفر أجرة القطار للذهاب إلى تلك المدينة وفي احدي ضواحيها عمل هو وصديقه في مصنع للإسمنت ، ولم يطل به المقام في فرنسا ورجع إلى مدينة تبسه، وسعي للحصول على عمل ولكن لم يفلح في مسعاه، فاشتغل في وظيفة مساعد عدل في المحكمة الشرعية بتبسة كمتطوع هربا من البطالة واكتساباً للخبرة قبل أن يحصل سنة 1927م، على وظيفة في محكمة أفلو (3) وأتيحت له الفرصة للتعرف على أهالي الريف الجزائري الذين أسماهم رجال

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص 91.

(2) محمد العبد، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي 1905-1973، دار القلم، دمشق، 2006، ص 26، 27.

(3) زكي ميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، ط2، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، 1998، ص 35.

الفترة والجود والكرم، ثم عمل بمحكمة شلغوم العيد " شاتودان " وكانت هذه البلدة مركزاً كبيراً للمستعمرين الفرنسيين وكل شيء فيها يخضع لقانون الاستعمار، غير أنه ما لبث أن استقال من منصبه بسبب الفساد المستشري في المحكمة من ناحية، واحتقار الأوروبيين للأهالي من ناحية أخرى وبعد استقالته اشتغل في التجارة مع صهره، في شركة لطحن الحبوب، والنقل العمومي ولكنها أفلسا، وفي جلسة مع والده ووالدته قرر الذهاب إلى فرنسا، ولكن هذه المرة لإكمال الدراسة وليس لغرض العمل .

وكان والده يلح عليه بدراسة الحقوق في معهد الدراسات الشرقية، ولكن لم يوفق في ذلك وبعد هذه المحاولة أشار عليه أصدقاؤه بالانتساب إلى مدرسة اللاسلكي، وهكذا غير اتجاهه من الدراسات النظرية إلى الدراسات العملية، وانتسب إلى مدرسة اللاسلكي بدرجة مساعد مهندس، وقد أفادته هذه الدراسة العملية وعبر عن ذلك بقوله " وفتح لي باب عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق للكم والكيف، ويتسم فيه الفرد بميزان الضبط والملاحظة " (1).

وفي هذه الفترة التقى بمحمود الساعي، والذي كان له عوناً في شق طريقه ككاتب متخصص في العالم الإسلامي، وكان له أثر في توجهاته، إذ كان ابن الساعي هذا متخصصاً في الدراسات الفلسفية ويتمتع بثقافة إسلامية واسعة، مما جعل مالك يهتم بصحبته ويشق طريقاً مثله إلى الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ، فهو أعترف بفضل ابن الساعي فقال " إنني مدين لمحمود بن الساعي باتجاهه ككاتب متخصص في شؤون العالم الإسلامي (2) .

---

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد علي القرن، مصدر سابق، ص 223.

(2) موسى لحرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي، في فكر مالك بن نبي، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، 2000، ص 41-43.



في سنة 1931م تعرف على امرأة فرنسية وتزوج منها بعد أن أعلنت إسلامها واتخذت خديجة اسما لها وكان لها أثر واضح في حياته ، حيث ساعدته كثيراً في تهيئة بعض الأمور المادية ليتفرغ للدراسة، ويصف بن نبي زوجته بأنها مهندس تجميل في ترتيب المنزل، ونجار، وغراس، ويمكن أن تحول منزلاً متواضعا إلى بيت أنيق (1).

كان مالك يتردد على نادي الطلبة المغاربة، وفيه ألقى أول محاضرة له بعنوان - لماذا نحن مسلمون - في أواخر شهر ديسمبر سنة 1931، وزار موطنه الجزائر في سنة 1932م، التي لاحظ خلالها تغيرا ملحوظ في أوصال المجتمع الجزائري ولمس تأثير حركة الإصلاح ووصولها إلى العاصمة والمدن الجزائرية الأخرى، فتوقع أن موجة الإصلاح ستحدث تغيرات جذرية في الشعب الجزائري (2) فعلق على ذلك بالقول: "لم تكن الإدارة الفرنسية تتصور هذه التغيرات كما ثبت ذلك فعلاً بعد عشرين سنة" (3) .

وفي سنة 1935 م تخرج مهندساً كهربائياً وبدأ رحلة البحث عن عمل، فلم تتح له فرصة العمل بشهادته داخل فرنسا أو خارجها، فحاول السفر إلى الحجاز ثم اليابان وأفغانستان ، لكنه فشل في ذلك، ووجد مالك أخيراً عملاً تطوعياً محبباً له، وهو تعليم كبار السن من العمال الجزائريين في مدينة مارسيليا شيئاً من اللغة وشؤون دينهم، وكان هؤلاء العمال قد أسسوا نادياً أسموه (نادي المؤتمر الإسلامي الجزائري)، فنجح بن نبي في تدريسهم، لكن تم استدعائه، ومنع من ذلك، وزار الجزائر مرة أخرى سنة 1938 وحاول تأسيس معهد بقسنطينة لتحضير الطلبة للالتحاق بمعهد الهندسة ولكن محاولته قوبلت بالرفض من طرف الإدارة الفرنسية، وبعد أن فشل في نشر

---

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص 72.

(2) اسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، دار النفائس، الجزائر، 1986، ص 16.

(3) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص 91.

بعض المقالات وإسماع صوته داخل الجزائر عاد إلى فرنسا يوم 22 سبتمبر 1939 (1) بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وودع الجزائر بعبارته "يا أرضاً عقوقاً تطعمين الأجنبي وتتركين أبناءك للجوع إنني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرة" (2) وفعلاً لم يعد مالك إلى الجزائر إلا بعد الاستقلال، واستقر في فرنسا حتى عام 1956 م، حيث انشغل بالكتابة والعمل الفكري\*، فعمل صحفياً في جريدة لوموند الفرنسية وصادر العديد من الكتب باللغة الفرنسية، ككتاب الظاهرة القرآنية وشروط النهضة ووجهة العالم الإسلامي، وروايته الوحيدة لبيك، وفي حدود عام 1956 م غادر مالك بن نبي فرنسا إلى القاهرة كلاجئ حاملاً معه مخطوط كتابه "الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ"، بغيبة طبعه، تاركاً وراءه زوجته الفرنسية خديجة، التي بقى على اتصال بها بالتراسل، وحرص بن نبي منذ وصوله على الاتصال بالصحافة والمفكرين والعلماء والسياسيين المصريين والعرب المقيمين في القاهرة، وعين مستشاراً للمؤتمر الإسلامي في القاهرة سنة 1956 م، كما كانت له حلقة

---

(1) عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص، ص، 108، 109 .

(2) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص 428.

\* يقدر عدد الكتب التي تركها مالك بن نبي بما يزيد عن الأربعين كتاباً، فتراثه الفكري تراث وافر منذ ما بين سنتي 1946 و1973م، فتتوعدت عناوين كتبه واختلقت مواضعها وتوحدت غايتها، ولم يتقاعس ابن نبي عن الكتابة أو الحديث أو الدرس منذ ثلاثينات القرن العشرين، فكانت عناوين كتبه عبارة عن مواضع شديدة الصلة بالحضارة، فحاول من خلال مؤلفاته طرح الإشكالية الحضارية، فتساءل عن شروط النهضة وعن المشاكل الاقتصادية، والفكرية والاجتماعية، والتي كونت ما يسمى التخلف الحضاري، فجاءت عناوين كتبه محاولات للإجابة عن تساؤلاته، وألف أكثر كتبه باللغة الفرنسية، وبعضها باللغة العربية، ثم ترجمت إلى اللغة العربية، وأغلب كتبه نشرت في القاهرة ودمشق والجزائر، وكان مالك بن نبي لا يترك مناسبة أو يضيع فرصة، تكون في متناوله أو يستطيع الوصول إليها إلا انتهزها ل طرح قضية أو فكرة أو توضيح أمر، أو تعليق على خبر، أو تصويب رأي، أو مناقشة أو تعليم، وكان ابن نبي حريصاً على تحديد الوضعيات وطرح المشكلات بدقة وتحليل الوقائع باستخدام المنهج العلمي والصرامة المنطقية.

فكرية في بيته خص بها طلبة العلم بالقاهرة، وقام بزيارة العديد من البلدان وخاصة بلاد الشام<sup>(1)</sup>.

وبعد الاستقلال عاد إلى الجزائر سنة 1963 وعين مديراً للتعليم العالي إلى غاية 1967م، قدم استقالته وتفرغ إلى العمل الفكري وتنظيم ندوات كان يحضرها الطلبة من مختلف المناطق، وقبل عودته للجزائر تزوج سنة 1962 من سيدة جزائرية هي السيدة خديجة حواص أنجبت له ثلاث بنات هن نعمة وإيمان ورحمة<sup>(2)</sup>.

في سنة 1971 زار قطر السوري واللبناني، وأعطى محاضرات فيهما، وفي سنة 1972 وبعد أدائه لفريضة الحج عرج مرة أخرى على دمشق وأعطى محاضرتين، واحدة في رابطة الحقوقيين، والثانية في مسجد المرابط وحملت عنوان ( دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين ، ومجالس دمشق)<sup>(3)</sup>.

في الجزائر اشتد به المرض، فسافر إلى فرنسا لإجراء عملية جراحية وبعد عودته إلى مسقط رأسه بثمانية أيام أنتقل إلي رحمة الله وكان ذلك يوم الأربعاء في 31 أكتوبر من العام 1973م.

---

(1) مالك بن نبي، في مهب المعركة، ط3، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 20  
(2) يوسف بوراس، الفكر السياسي عند مالك بن نبي، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 19.  
(3) عبد الطيف عبادة، مرجع سابق، ص 24- 26 .

## المبحث الثاني

### • التغييرات الأيديولوجية التي تأثر بها :

أولاً: الأوضاع السياسية والاقتصادية:

شهدت الفترة التي قدر لمالك بن نبي العيش فيها 1905 - 1973 تحولاً كبيراً على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعلى وجه الخصوص على المستوى السياسي الذي شهد تغييرات واضحة على مستوى عالمي أثرت في النظم والإدارات والمكونات والهياكل السياسية والتي أحاطت بظلالها على الشعوب، ففي هذه الفترة عاش العالم تحولاً كبيراً اثر الحرب العالمية الأولى، التي اندلعت سنة 1914م وما تمخض عنها من انقسامات، تقالمت وازدادت اتساعاً بقيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939 م ، وفي هذه الفترة برز للوجود عديد المؤسسات والمنظمات الدولية كعصبة الأمم المتحدة على سبيل المثال.

أما الجزائر والتي خضعت منذ سنة 1835 م للاحتلال الفرنسي وشهدت مقاومة عسكرية وسياسية قوية، من قبل الجزائريين طول تلك الفترة والتي اتخذت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى اتجاه مقاومة تتميز بأسلوب جديد استنبطه الزعماء الجزائريين من خلال تجاربهم السياسية وثقافتهم الفرنسية والعربية الإسلامية<sup>(1)</sup> وأول هذه الحركات السياسية المميزة كانت حركة الأمير خالد حفيد عبد القادر الجزائري والتي أطلق عليها اسم الحزب الإصلاحى، وكما سميت بالحزب الوطنى الإسلامى الاشتراكى ، وعارض هذا الحزب بشدة كل ما يتعلق بشروط التخلي عن قوانين الشريعة الإسلامية ، وأسس وحدة النواب كما أعلن إصدار جريدة الأقدام، لكنها لم تدم طويلاً، فقد سارعت الحكومة الفرنسية في الجزائر إلى تضيق الخناق على نشاط الأمير خالد وتقرر من بعدها نفيه من الجزائر سنة 1923 بالرغم من ذلك حاول

(1) مالك بن نبي، الفكرة الإفريقية الآسيوية، في ضوء مؤتمر باندونغ، دار الفكر، دمشق 1979، ص 29.

مواصلة العمل السياسي في فرنسا وواجه الكثير من المتاعب فقرر على أثرها الرجوع إلى مصر ومن ثم إلى سوريا، التي مكث فيها إلي أن وافته المنية عام 1936م<sup>(1)</sup>. وتوالى ظهور الحركات الإصلاحية والوطنية، المطالبة بحقوق الجزائريين في بلادهم كحركة نجم شمال أفريقيا سنة 1926 م تحت زعامة أمصالي الحاج إذ تأسست هذه الجمعية خارج الجزائر حيث ضمت حوالي أربعة الاف منخرط من العمال الجزائريين والتونسيين والمغاربة، ثم انسحبوا واقتصرت عضويتها على الجزائريين فقط واشتمل برنامج هذه الجمعية على المطالبة والعمل على الاستقلال الكامل للجزائر وإجلاء الجيش الفرنسي وإنشاء جيش وطني ، وغيرها من البرامج والأهداف التي كان الهدف منها الاستقلال بكمال الجزائر<sup>(2)</sup>.

أما الحركة الإصلاحية التي تأسست على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي عام 1931 م بنادي الترقى بالعاصمة الجزائر والتي عرفت بجمعية العلماء الجزائريين، والتي أرتكز برنامجها على إصلاح عقيدة أبناء الجزائر ومحاربة الجهل ، والعمل على المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، والدعوة إلى استقلال الجزائر، وهذا جعله يمدح الشيخ ابن باديس في أكثر من موضع من كتبه لدرجة الاعجاب به أن أهدي إحدى مقالاته له<sup>(3)</sup> .

وعن الانضمام للجمعية والتي ضمت أثنان وسبعون عالماً جزائرياً جاءوا من مختلف أنحاء البلاد ، ومن اتجاهات دينية مختلفة ولعل أهم تعبير عن أهداف هذه الجمعية ما جاء على لسان الشيخ ابن باديس سنة 1937م حين قال: "العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان قضيئتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا، فما زالت هذه الجمعية كما كانت تفهمنا في الدين ،

---

(1) احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر القارة، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1957، ص 164

(2) ابوالقاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 372.

(3) مالك بن نبي، في مهبط المعركة، مصدر سابق، ص 18.

وتتيرنا بالعلم وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية وتحفظ علينا ديننا وقوميتنا وتربطنا بوطننا العربية الإسلامية<sup>(1)</sup>، وبالرغم من مبادئ الجمعية الإصلاحية وعدم تصريحها منذ تأسيسها بانخراطها في السياسة، إلا إن مشاركة رئيس الجمعية في المؤتمر الإسلامي والذي برر مشاركته بالقول " إن السياسة تعنى الأمة كلها وأن الجمعية جزء من الأمة، فالبقاء بعيد عن سير الأحداث يعد هروباً من الواجب الوطني وليس ذلك من شيمنا <sup>(2)</sup> وما أكد ذلك الانخراط صدور البيان الذي أصدره قادة الجمعية في 7 يناير سنة 1956 م والذي أعلنوا فيه تأييدهم الكامل لثورة نوفمبر 1945<sup>(3)</sup> فبالرغم من المقاومة السياسية التي ظلت ولمدة طويلة تأمل في الحصول على الاستقلال، إلا إنها لم تحقق شيئاً للشعب الجزائري، وجاءت الحادثة التي غيرت مسار التفكير الجزائري نحو النضال المسلح لنيل الاستقلال فكانت الثورة في مايو 1945م حيث استغل الجزائريون فرصة احتفال العالم الغربي الحر بعقد هدنة مع ألمانيا فاعدوا لمظاهرة سلمية في مدينة سطيف في محاولة لإظهار مطالبهم وبيان أهدافهم ، التي تعرض لها الفرنسيون، ونتج عن ذلك مقتل فتى من المتظاهرين وتطورت الأحداث بالمدينة وراح ضحيتها ما يقارب خمسة وأربعون ألفاً من المسلمين، فظهر أول منشور للثورة تحت إمضاء لجنة الثورة للاتحاد والعمل ومن بعدها تم تشكيل جبهة التحرير الوطني الجزائري، التي شرعت أبوابها لقبول كل

---

(1) فريري سليمان، تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية، 1940 - 1954، أطروحة الدكتوراه، قسم العلوم الانسانية، جامعة الحاج الخضر، الجزائر، 2011، ص 68.

(2) أحمد الابراهيمى، اثار الامام محمد البشير الابراهيمى ج1، دار الغرب الاسلامى، بيروت، 1997 م، ص 138.

(3) ابو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص. ص 146، 145.

الجزائريين على مختلف أطيافهم ، وأعلنت عن هدفها الذي تلخص في التخلص من الحكم الاستعماري والاستقلال عن فرنسا (1) .

أما عن الأوضاع الاقتصادية فقد عاشت الجزائر في مطلع القرن العشرين وضعاً اقتصادياً متريداً حيث تدنى مستوى المعيشة، بسبب انخفاض الإنتاج وسوء الحال الذي كان مرده إلى الحروب التي كانت قائمة آنذاك سواء في خارج الجزائر أو داخلها، إضافة إلى سياسة فرنسا منذ احتلالها لهذا البلد، حيث قامت بتشجيع سياسة الاستيطان وجلب المعمرين من فرنسا لأجل خلق مجتمع فرنسي في هذه المنطقة ومن جهة أخرى عملت على تشجيع الهجرة وفتح أبوابها أمام الجزائريين، وسلب الأراضي والأموال من أصحابها وإحلال المستعمرين مكانهم، فوصل الأمر بإرغامهم على بيعها(2) ووضع اليد عليها، إضافة إلى أراهمهم بالضرائب، وعملت على الاستحواذ على الأراضي الخصبة ، واتبعت سياسة الأرض المحروقة بغيت إحلال زراعة الكروم بدلاً من المحاصيل الزراعية الأخرى لاستخدامها في إنتاج الخمور(3).

ولكي تصل سلطة الاحتلال إلى أهدافها سمحت سياسة أقل ما توصف به أنها أشجع وسائل واستراتيجيات قامت ابسط المبادئ الإنسانية هذا كان حال الزراعة في الجزائر والتي كانت عماد حياة الكثير من ابنائها الذين اضطروا للانتقال إلى المناطق الجرداء والتي لا تصلح لأي استصلاح زراعي، فقلت المحاصيل ولم تعد تكفي لسد الحاجة واضطر كثير من أصحاب الأراضي والمزارعين للعمل في مزارع المعمرين بعد فقدانهم لأراضيهم.

---

(1) هنري كلود، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، تر: محمد عيناني، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، 1960، ص 85.

(2) يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، والحركة الوطنية الجزائرية من 1930 الى 1954، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م، ص 45.

(3) عبد الله بن العويس، مالك بن بني حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2012، ص 27.

ففي مجال التجارة لم يكن للمواطن الجزائري، مجالاً لتطوير تجارته أو المحافظة عليها بسبب سيطرة الدوائر الفرنسية على مقاليد التجارة، وبخاصة المستعمرين الفرنسيين واليهود، كما وضعت فرنسا يدها على الصادرات والواردات وبالغت في فرض الضرائب على التجار المحليين وأثقلت كاهلهم بها ولم يبق أمام الجزائريين إلا العمل في الأراضي التابعة لفرنسا بهدف الحصول على قوت يومهم، فالناظر للوضع الجزائري آنذاك يلاحظ وجود قسمين أو قطاعين، القطاع الأول كان يتبع فرنسا، ويمكن وصفه بالقطاع الحديث وقطاع تقليدي محلي وقع عليه الظلم والممارسات المجحفة، التي أثرت في أوضاعه الاقتصادية وتدني مستواه المعيشي إلى حالة الفقر والبيؤس (1).

أما الصناعة فلم يكن حالها أفضل من سابقتها، حيث لم يطرأ عليها أي تطور منذ بداية الاحتلال ذلك بأن فتحت فرنسا المجال للبضائع والصناعات الفرنسية ولتحتل الأسواق المحلية بهدف القضاء على الإنتاج والصناعة المحلية ذلك بأن اضطر كثير من الحرفيين، والصناع لغلق ورشهم ومحلاتهم، بسبب غزو المنتجات المستوردة والرخيصة للأسواق الجزائرية، وكما هو معروف اعتمدت الصناعة التقليدية في الجزائر على الصناعة التي كانت تمارسها النساء في منازلهن، كالحياسة ونسج الملابس والمفروشات والأحذية (2).

وشجعت السلطة الفرنسية هجرة الجزائريين لفرنسا في محاولة لاستغلالهم والاستفادة منهم بتشغيلهم في المصانع والأعمال الأخرى ومرد ذلك رخص أجورهم وهذا الوضع الاقتصادي المتردي الذي دفع بكثير من العائلات الجزائرية لترك أراضيها وهجر مدنها في محاولة للبحث عن لقمة العيش وتحسين أوضاعهم، وحال عائلة مالك بن

---

(1) احمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص، 107، 108.

(2) احمد مهساس، الحقائق الاستعمارية والمقارنة، دار المعرفة، الجزائر 2007، ص- ص 79، 80.



نبي دليل على المستوى المعيشي المتدني، الذي عاشه الجزائريون، وقسوة وضنك العيش وبؤسه (1) .

### ثانياً - الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م والذي عمل على سياسة التفرقة الاجتماعية، داخل المجتمع الجزائري، وبث روح الفرقة بين أبناء المجتمع الجزائري، ومن خلال هذه السياسة الاستعمارية ظهر في المجتمع طبقات اجتماعية تمثلت في: أولاً - الطبقة الإقطاعية التي سيطرت وبسطت نفوذها على أخصب وأغلب الأراضي الزراعية.

ثانياً - الطبقة الرأسمالية والتي استحوذت على النشاط الاقتصادي وتكونت من المستوطنين الفرنسيين، واليهود، وبعض الجزائريين.

ثالثاً - الطبقة المعدمة الفقيرة، التي تمثلت في الفلاحين، والعمال الحرفيين ، وأما الطبقة الكادحة من الجزائريين، فقد ساءت أحوالهم الاجتماعية إثر استعمال السلطة الفرنسية لأساليب الاستحواذ على المقدرات، والمؤسسات الاقتصادية، والاجتماعية وتحويلها لخدمة المستوطنين الأوربيين ولخدمة مشروعها الاستيطاني، كما قامت سلطة الاحتلال بسن قوانين مصادرة الأراضي والأملاك العقارية والسيطرة عليها ، كسيطرته على التجارة والصناعة(2).

وبكل هذه الإجراءات قام الفرنسيون بهدم البنية الاجتماعية الجزائرية، فأصبح الجزائري غريباً في بلده، ويحتل المركز الأدنى من السلم الاجتماعي ، فقد عمل المستعمر جاهداً على تحطيم أركان المجتمع الجزائري، سواء كانت القبيلة أو

---

(1) محمد العبد، مرجع سابق ، ص 18،19.

(2) تركي رابح عمارة، الشيخ عبد الحميد بن باديس راند لإصلاح والتربية، ط4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، ص20، 22.

الهيئات القيادية التي كان لها ثقلها في المجتمع الجزائري واعتمدت على الأصل والمال أو الزعامة الدينية<sup>(1)</sup>.

فازدادت أوضاعهم سوءاً، حيث انتشرت البطالة، وتفشيت الآفات الاجتماعية، والانحلال الأخلاقي في المجتمع الجزائري، وتدهورت حالة السكان، وانتشر في أوساطهم الفقر والجهل، وكان لهذه الظروف السيئة دورها في توجه الكثير من الجزائريين للهجرة سواء كانت داخلية، أو خارجية بحثاً عن مستوى أفضل للعيش<sup>(2)</sup>.

وكما عانى المجتمع الجزائري من تردي الأوضاع الصحية، حيث انتشرت الأمراض والأوبئة نتيجة عدم وجود بيئة صحية، ذلك بأن سكن الجزائريون مساكن وأحياء مكتظة، ولا تتماشى مع السكن الصحي، كالأكواخ وفي المناطق النائية، فكانت بيئة صالحة لتفشي الأوبئة، كوباء الطاعون، الذي ظهر في إقليم العاصمة عامي 1888م، 1893م، ووباء الكوليرا الذي تفشى عامي 1884م، 1893م، والملايا والتيفويد الذي ظهر وتفشى عام 1920م، حيث قتل وحصد الكثير من الأرواح وفي المقابل لم تحرك سلطات الاحتلال ساكناً، بل بالعكس تماماً حاولت استغلال هذه الأوضاع للعمل على ترسيخ وجودها بالعمل على التفرقة بين أبناء القطر الواحد<sup>(3)</sup>.

وإذا ما تطرقنا إلي الأوضاع الثقافية فنستطيع القول بأنها كانت انعكاساً حياً لسياسة التجهيل التي سعت لتحقيقها السلطات الفرنسية، فمنذ احتلالها للجزائر، وضعت نصب عينيها القضاء على الثقافة العربية الإسلامية، بالعمل على دمج أبناء هذا البلد في الكيان الفرنسي، بما يسمى سياسة الفرنسة<sup>(4)</sup>.

---

(1) عباس فرحات، ليل الاستعمار، تعريب : أبوبكر رحال، مطبعة المحمدية، المغرب، 2002، ص32.

(2) شارل روبير احيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات عويدات، بيروت، 1982م، ص101.

(3) هنري كلود، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، مرجع سابق، ص ص120، 125.

(4) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس: باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة، دار العلوم، الرياض، 1983م، ص ص54، 69.

فقد اتبعت فرنسا سياسة تعليمية تهدف إلى تهديم الثقافة الوطنية للجزائر، وإدراج اللغة الفرنسية بدل اللغة العربية، ولأجل الوصول إلى هدفها، عملت على تعطيل التعليم وتطبيق سياسة التجهيل، فقامت بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية التي كانت تمول المدارس، والمتعلمين في الجزائر، وكما أصدرت قرارات بغلق المدارس الخاصة بتعليم اللغة العربية والكتاتيب، واشترطت على بعض المساجد التي استمرت في الاقتصار على تحفيظ القرآن الكريم، دون تدريس شروحه وتفاصيله، وفي المقابل انتشر القساوسة، والمبشرين للدعوة إلى اعتناق المسيحية، بتشجيع من السلطة الفرنسية للعمل على القضاء على الإسلام، وإحلال المسيحية بدلاً عنه، وقامت السلطة الاستعمارية إضافة إلى ذلك بتحطيم المصادر الثقافية الموجودة في الجزائر، والتي كانت تعج بها المكتبات الجزائرية، كمكتبة الأمير عبدالقادر الجزائري<sup>(1)</sup>.

وبعد العمل على تدمير المصادر الثقافية للجزائريين، قامت فرنسا بالعمل على إعادة تشكيل العقلية الجزائرية، فاتبعت طرقاً عدة كفتح مدارس لتعليم اللغة الفرنسية، كان الهدف منها إذابة المجتمع الجزائري في بوتقة الثقافة الفرنسية<sup>(2)</sup>.

وعملت السلطة الاستعمارية، على تقليص عدد المتعلمين في الجزائر فتبنت سياستها في نشر التعليم بين أبناء الجزائر، فسنت قوانين كان الهدف منها منع الجزائريين من الانخراط في المدارس وتلقي التعلم، وكان أن قامت برفع رسوم الدراسة، أو اقتصار قبول أبناء المستعمرين الأوروبيين واليهود في الكثير من المدارس، والمراحل الدراسية، ومنع أبناء الجزائر من دخولها، وعبر عن هذه السياسة ونتائجها أحد المفكرين الفرنسيين حيث قال: "بالجزائر، كانت نسبة التعليم العربي

---

(1) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 89.

(2) عبدالله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص 27.

65% من السكان تحت قيادة الأمير عبدالقادر، بينما عند تحريرها، أصبح بها 65% أميين، مع 8% فقط من الشعب الجزائري ذي ثقافة فرنسية<sup>(1)</sup>.

ثالثاً - حركة الإصلاح في الجزائر وتأثيرها في فكر مالك بن نبي:

إن الوعي الذي انطلق منه مالك بن نبي وشكّل نقطة الارتكاز في العناية بالتخصص الفكري هو رؤيته أن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة، وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموع القيم الثقافية المحققة، وإذن فمصير الإنسان رهن دائماً بثقافته<sup>(2)</sup>

لأجل هذا كان ظهور حركة الإصلاح في الجزائر متأخرة، إذا ما قورنت بظهورها في المشرق العربي، حيث كانت بوادره في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، ومرد ذلك للظروف التي مر بها هذا العصر، تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي منع عنه جل الموجات الثقافية والعلمية الحضارية، مما نتج عن ذلك تخلف ثقافي وجمود فكري ساد المجتمع الجزائري ويرجع البعض السبب في ظهور هذه الحركة الإصلاحية في الجزائر الى زيارة الشيخ محمد عبده لها سنة 1903م والذي حاول بث روح الإصلاح والحث على العودة إلى الدين الإسلامي القيم والتمسك باللغة العربية والعمل على إصلاح الأوضاع المتردية، ومما شجع على ذلك أيضاً عودة الكثير من الجزائريين بعد إكمال تعليمهم في بلدان عربية كمصر وتونس والمغرب والتي درسوا في مدارسها وجامعاتها كالأزهر والزيتونة والقيروان فتأثروا بالحركات الإصلاحية التي سبقتهم هناك، فكان هؤلاء متحمسون أشد الحماس للوطنية والأصالة العربية الإسلامية، فأسهم هؤلاء في بعث اليقظة الجزائرية منذ مطلع القرن العشرين، عن طريق التدريس في الكتاتيب وفتح المدارس من جديد، ومحاولة تمويلها ذاتياً، ومن بين هؤلاء المصلحين وأشهرهم مولود بن موهوب ، وأبو القاسم الحفناوي

(1) روجيه جارودي، حفار القبور، تر: عزة صبحي، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2000م، ص25.

(2) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 100.

وعبدالقادر الحجاوي، وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم، وعرف هؤلاء بالكتلة المحافظة التي كان هدفها تغيير وإصلاح المجتمع الجزائري والنهوض به، إضافة إلي أولئك الذين عادوا من فرنسا وكان لهم أثرهم الواضح في حركة الإصلاح والمطالبة برفع الظلم عن مجتمعهم والعمل على تطويره وتحريره من نير الاحتلال الفرنسي(1).

وكما بدأت الحركة الإصلاحية في الجزائر أكثر وضوحاً على يد الشيخ عبدالحميد بن باديس، الذي أرسى دعائم المدرسة الإصلاحية السلفية في الجزائر، وهو يعد رائد الحركة الإصلاحية بها، فاستطاع بعمله الإصلاحي صنع جيل تطلع وعمل على المحافظة على مقومات الأمة ليقودها للثورة على المستعمر وكان تركيز ابن باديس على تثبيت تعاليم الإسلام في نفوس أبناء بلده، والدعوة إلى النهضة التي كانت ركائزها التربية والعلم، والعمل على إصلاح التعليم(2).

فكانت أول مؤسسة ثقافية اجتماعية تسعى إلى الإصلاح والتغيير، وقد أكد هذا المصلح الجليل على أن التغيير يبدأ من داخل الإنسان، وينعكس ذلك على سلوكه، ومن ثم يبرز ذلك من خلال العلاقات والأنشطة الاجتماعية، وصالح النفوس شرط رئيسي في صلاح المجتمع(3).

---

(1) عبدالوهاب بن خليفة، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار الطليعة، الجزائر، 2009م، ص108.

(2) تركي رابح، مرجع سابق، ص119.

(3) شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، تر: محمد مزالي وآخرون، ط2، الجزائر، 1976م، ص135.

## **الفصل الأول**

### **الإصلاح والتجديد عند مالك بن نبي**

**المبحث الأول: الروافد الفكرية لمفهوم الإصلاح والتجديد عند مالك بن نبي .**

**المبحث الثاني: شروط الإصلاح والتجديد الحضاري.**

## المبحث الأول:

الروافد الفكرية لمفهوم الإصلاح والتجديد عند مالك بن نبي .

أولاً : معني الإصلاح والتجديد :

جاء ذكر كلمة الإصلاح\* في القرآن الكريم في مواضع عدة: حيث وردت في سورة هود ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>، وفي موضع آخر من نفس السورة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَةَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾<sup>(2)</sup>، ووردت في سورة النساء ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾<sup>(3)</sup> .

فمفهوم الإصلاح في القرآن الكريم يجد مكانة عالية، حيث الحقل الدلالي واسع جداً، فكانت بمعنى أصلح ما يفيد معنى الصلح، وما يفيد معنى القيام بعمل صالح، أما المصلحون فهم في هذا المعنى يقومون بإصلاح أحوال الناس والإصلاح ضارب بحدوده في المنابع الأولى للإسلام، وكما هو معروف فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مبدأ من مبادئ الإسلام، والإصلاح عند المسلمين هو تصويب ما أعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا، والعودة بها إلى الأصل<sup>(4)</sup>.

---

\* الإصلاح هو تقويم الشيء وإزالة الفساد عنه. وتعريف الإصلاح في اللغة: لفظ مشتق من الفعل أصلح، صلح، وصلح، وتدل على تغير حالة الفساد إلى الحالة الخيرية، وهي الصلاح، وتعريف الإصلاح اصطلاحاً: الإصلاح بمعناه الواسع يتجسم في الثورة أو التغيير للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والدينية والثقافية ينظر : لويس معلوف اليسوعي، المنجد في اللغة والآداب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1927، ص45؛ ومحمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، القاهرة، 1965، ص169. وايضاً ينظر : حامد عمار، الإصلاح المجتمعي إضاءات ثقافية واقتصادات تورية، مكتبة دار العربية للكتاب، 2006، ص21.

(1) سورة هود، الآية 88.

(2) سورة هود، الآية 177.

(3) سورة النساء، الآية 116.

(4) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط4، دار المنار، القاهرة، 1954م، ص407.

والفعل الإصلاحي يتداخل مع معنى التحديث والاجتهاد والتجديد وهو فعل تحديث ويحمل الإصلاح عدة مفاهيم كالتجديد والاختراع، والتغيير والابتكار والتحديث، والتطوير، ويمكن القول بأن الإصلاح مصطلح غامض غير محدد، وفي العادة أن ينظر الإنسان إلى الإصلاح على أنه يتضمن تغييراً<sup>(1)</sup>.

وجوهر الإصلاح عند مالك بن نبي، هو تغيير نفس الشعوب وتخليصها من موروث الاستعباد والقابلية له، وإعادة إحيائها من جديد، حتى تتفاعل مع معطيات الحضارة الأساسية، وأي تغير أساسي لا يقوم على أساس تغيير الأفراد والارتقاء بهم، هو تغير غير رشيد، حيث أن الشيء الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة، بل منطق العمل والحركة، فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاماً مجرداً وأحد، وفي هذا يقول بن نبي ، إنها لشرعية السماء، غير نفسك تغير التاريخ<sup>(2)</sup>.

وقال عن التجديد\* ( تعيد الفكرة أو الشيء الذي يلي أو قدم ليتمحور المعنى حول إعادة بعث الشيء الذي أصابه البلى عبر الزمن، طبقاً لنموذجه الأصلي)، واستند على كلامه بما يعينه المصطلح وورد في السنة النبوية حيث أن الفعل جدد وورد في بعض الأحاديث النبوية، كالحديث الذي قال فيه أبي هريرة رضي الله عنه إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ( يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه

---

(1) محمد منذر مرسى، الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث، عالم الكتب، القاهرة، 1999م، ص6.

(2) عبداللطيف عباده، مرجع سابق، ص103.

\* مفهوم التجديد: التجديد لغة: تجديد الشيء، صار جديداً، وجدده أي صيره جديداً، وكذلك أجده واستجداه، والجديد نقيض الخلف، والجدة بالكسر مصدر جدد الوضوء، وجدد العهد، ومن كل هذا فتول إلى أن الجديد في أصل معناه اللغوي يبعث في الذهن تصورات يجتمع فيها ثلاثة معاني متصلة، أن الشيء المجدد كان في الأصل موجوداً، وللناس به عهد، أن الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً، لتظهر دلالة اللفظ على أن التجديد يتضمن معنى الإعادة فتجديد الوضوء يعني إعادته فينطبق المعنى في مجال الأشياء أو الابتكار : راجع: ابن منظور، محمد أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، ط3، دار صادر ، بيروت ،لبنان، 1414هـ ، ص299



الأمة أمر دينها<sup>(1)</sup>، فالتجديد هنا يعني تجديد الدين والذي هو إحياء وإصلاح لعلاقة المسلمين بهذا الدين، وأصوله، والاهتداء به للوصول إلى تحقيق الرفعة والحضارة، فالتجديد ينصب على دين الأمة، وليس على دين الله<sup>(2)</sup>.

---

(1) حديث رواه أبوهريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقام بتصحيحه البخاري في كتابه المقاصد الحسنة، ص149.

(2) جمال سلطان، تجديد الفكر الإسلامي، دار الوطن، الرياض، 1412هـ، ص13.

## ثانياً: الروافد الفكرية .

أسهمت العديد من الروافد في تشكيل فكر وشخصية مالك بن نبي، وإيضاحها ومن أهم هذه الروافد:

**أولاً- الثقافة العربية الإسلامية:** كان تأثر مالك بن نبي بعائلته واضحاً، حيث نشأ في عائلة محافظة، فقد حرص والداه على تكوينه تكويناً دينياً إسلامياً، فجعله يثابر على حفظ القرآن وعلومه، وكون الأسرة هي النواة الأساسية التي ينشأ الفرد في أحضانها، وكما تأثر مالك بن نبي بقصص وحكايا جدته (الحاجة زوليخة)، التي عدها مدرسته الأولى وعلى يديها تكونت مداركه الإسلامية حيث أن حكايات وقصص هذه الجدة كانت تدور في معظمها حول الإصلاح، والعمل الصالح، وذكر بن نبي ذلك بالقول (وكانت هذه الأقاويص تعمل على تكويني دون أن أدري، فمنها عرفت أن الإحسان في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي)<sup>(1)</sup>.

وكما كان تأثره بمحيطه الذي عاش فيه، فمدينة تبسة، عرف عن أهلها تمسكهم وحفاظهم على الفضائل والأخلاق، وتقاليدهم مما غرس في نفسه حب التمسك بالأصالة، أما الانفتاح على الآخرين وخوض غمار المعاصرة، فقد اكتسبه من خلال إقامته في مدينة قسنطينة وهي إحدى أحواض الجزائر الكبرى<sup>(2)</sup>.

## ثانيا- التكوين في المدرسة:

تعد المدرسة الفضاء التربوي الذي يسهم في بناء الشخصية، وهي إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فقد تلقى تكويناً علمياً وأدبياً في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم

---

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص66.

(2) عبداللطيف عبادة، صفحات مشرفة من فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص215.

علي يد الشيخ موهوب\*، وحتى لما قرر والده إرساله إلي المدرسة الفرنسية أصر علي الاستمرار في دراسته للقران وحفظه فتعلم علي يدي ذلك الشيخ علوم التوحيد حتي أنه قال عنه تلميذه مالك في مذكراته (تولى الشيخ بن موهوب جذب أفكارنا وعقلنا إلى تلك الحركة التقليدية القديمة)<sup>(1)</sup>.

و درس الفقه والسيرة علي يد شيخه عبدالمجيد، إضافة إلى دروساً في اللغة العربية والنحو والصرف، وشيئاً من الشعر، وقد أشار بن نبي إلى ذلك قائلاً (وتلقيت في سنة 1920م علي يد الشيخ عبدالمجيد أسس الثقافة العربية، وقد تعلمت تصريف الأفعال والتمييز بها وحفظت شيئاً من الشعر)<sup>(2)</sup>، وكما كان لآراء هذا الشيخ وانتقاداته للمجتمع والبدع، وكراهية لتصرفات الإدارة الفرنسية بالغ الأثر على تكوين شخصية وآراء مالك بن نبي، كما في مذكراته إلى تزوده العلم من شيخه ابن العابد، وهو أستاذ الشريعة في المعهد نفسه ، وكانت دروس هذا الشيخ ذات نفع على بن نبي، حيث مكنته من اجتناب الانجذاب إلى متاهات الفكر الغربي، فقال عن ذلك ( كان قوياً يعيد روعي إلى طريقها الصحيح)<sup>(3)</sup>، وإضافة إلى هؤلاء الأساتذة والشيخو تأثر ونهل من الشيخ عبدالقادر المجاوي، والشيخ صالح بن مهنه.

وكما كان للحركات الإصلاحية الإسلامية أثر واضح في نهج مالك بن نبي سواء كانت في الجزائر أو خارجها، وكان رائد حركة الإصلاح في الجزائر الشيخ عبدالحמיד بن باديس، وتأثر بن نبي بالحركة الوهابية في بلاد الحجاز، وحركات الإصلاح في المشرق وروادها محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا، وتحدث عن ذلك ( كان آخر هذه المؤثرات كتابات عشرت عليها في مكتبة النجاح أحد أهم الينابيع البعيدة والمحددة لاتجاهي الفكري، أعني بذلك كتاب ألفه

---

\* مفتي مدينة قسنطينة وأستاذ السيرة النبوية والتوحيد في معهد تكوين المعلمين راجع: فهمي جدعان، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشرق، الأردن، 1998م، ص132

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن ، مصدر سابق، ص66.

(2) المصدر نفسه، ص48.

(3) المصدر نفسه، ص67.

محمد رضا وكان عنوانه الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق، وكتاب محمد عبده رسالة التوحيد، إضافة إلى كتاب أم القرى لعبد الرحمن الكواكبي، وكان لهذا الكتاب أثره الواضح على نفسية وأفكار بن نبي، والذي قال عنه ( لم أكن أشك بأنه كتاب خيالي ولكن في نفسي كان عميقاً)<sup>(1)</sup>، وقد قرأه بن نبي في ليلة واحدة، وعرف من خلاله كيف أن الإسلام ينظم الحياة من أجل حركة بعث جديدة<sup>(2)</sup>.

وحاول مالك بن نبي الاستفادة من مبادئ حركات الإصلاح والتغيير التي سبقته وقد تطرق إليها في بدايته الأولى وعرفها ب الوهابية تعني في نظري الفكرة الإسلامية الوحيدة التي تصلح بما فيها من طاقة متحركة لتحرير العالم الإسلامي المنهار منذ عهد ما بعد خلافة بغداد ، وركز أيضاً على فكرة التوحيد وتنزيه العبادة عن كل ما يربطها بالماديات.

وتحدث عن جمال الدين الأفغاني فوصفه بأنه ( صوت النهضة الجديدة وأنه صوت مؤسس على زاد ثقافي، تخطى الحدود الإقليمية من المدينة إلى بغداد ودمشق والقاهرة والقيروان، وغيرها بهدف الإصلاح، صلاح الواقع الإسلامي العام) فكان دور الأفغاني حسب تحليل وتصور بن نبي لم يقتصر على الإيقاظ والتحرك على أهمية هذا الأمر ومشقة مسؤولية القيام به، فعمله كان آلة التحريك والاستنهاض أولاً، ووضع اللبنة الأولى للمشروع المستقبلي ، معتمداً الإصلاح السياسي طريقاً للتقدم، وقال عنه ( إذا لم يكن جمال الدين قائداً أو فيلسوفاً للحركة الإصلاحية الحديثة، فلقد كان رائدها حين حمل ما حمل من القلق، ونقله معه أينما حل، وهو القلق الذي ندين له بتلك الجهود المتواضعة في سبيل النهضة الراهنة)<sup>(3)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص ص 66 - 82 .

(2) محمد عبده، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاح، 1905-1973، دار القلم، دمشق، 2006، ص 26-27.

(3) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 49 - 25.

كما تحدث مالك بن نبي عن محمد عبده، الذي تأثر بأرائه وأفكاره وأشار بأنه اعتمد الإصلاح التربوي الاجتماعي طريقاً للنهوض، فكان تركيزه على التربية والإعداد، لأن صلاح الفرد خطوة لصلاح المجتمع<sup>(1)</sup>.

ومن جملة ما تأثرت بهم وكما ذكرنا سابقاً: ( قد بدأ الشيخ بن باديس في ناظرينا خارج الإطار الاستعماري)<sup>(2)</sup>، وقد عمل ابن باديس على محاربة البدع والخرافات التي سادت المجتمع وعمل المستعمر الفرنسي على غرسها فيه، واستطاع أن يحاربها وحقق نجاح منقطع النظير، ونجح في نقل مبادئه الثورية إلى ميدان العمل الاجتماعي<sup>(3)</sup>، وقال عنه مالك ( لقد قام بتلك المهمة على خير وجه، أي ابن باديس استطاع أن يخلص الجزائر من تلك التقاليد الزائفة)<sup>(4)</sup>.

وإضافة إلى كل ذلك اطلع مالك بن نبي على كتب الأدب والشعر العربي القديم كشعر عنتره ، وأمرئ القيس، والفرزدق، وكتب الشعر الحديث كشعر إيليا أبو ماضي، وجبران خليل جبران، وحافظ ابراهيم، وغيرهم.

### ثالثاً- الثقافة الغربية:

انخرط مالك بن نبي في المدرسة الفرنسية، فاستطاع أن ينهل من ثقافتين مختلفتين العربية الإسلامية والفرنسية، فكان لمعلمه الفرنسي ( ميسيو مارتان )، الذي كان مدرساً في مدرسة سيدي الجلب، بقسنطينة أثر واضح في إمام وامتلاك بن نبي لزماد اللغة الفرنسية، إضافة إلى اكتسابه الشغف بالمطالعة، والقراءة، فطالع

---

(1) أحمد أسعد السمحراني، مالك بن نبي مفكراً ومصلاًحاً، ط2، دار النقاش، بيروت، 1406هـ-1986م، ص120.

(2) مالك بن نبي، مذكرات شاهد علي القرن ، مصدر سابق، ص131.

(3) أحمد أسعد السمحراني، مالك بن نبي مفكراً ومصلاًحاً ، مرجع سابق، ص67.

(4) مالك بن نبي، مذكرات شاهد علي القرن ، مصدر سابق، ص67.

الصحف والجرائد الغربية كجريدة الكفاح الاجتماعي، وجريدة الإنسانية، وقد ساهمت هذه الصحف والجرائد في تشكيل ثقافته الاجتماعية<sup>(1)</sup>.

وساهم السيد بوبريتي مدرس تاريخ العصور القديمة والأدب الفرنسي في نفس المدرسة في إرشاد مالك بن نبي إلى الكتب التي ينبغي عليه مطالعتها، وكان يقوم بإعارته بعض الكتب والمجلات، ككتاب العالم الهندي طاغور (رانبدا)، ومجلة كونفيرانسيا، والأخبار الأدبية<sup>(2)</sup>.

ومن خلال اتقانه للغة الفرنسية ودراسته هناك، استطاع الاطلاع على الكثير من المؤلفات لعظماء الكتاب والمؤلفين، فكان مترجماً يقرأ كل ما يقع بين يديه من مؤلفات وكتب، فكان من بينها مؤلفات ( بيرلوت ) ( وكلود فايير )، "كالرجل الذي اغتال"، و"فاقدات السعادة"، وكتاب اندريه جيد، "الغذاء والأرض"، وكتاب أرجين يونغ، " الإسلام بين الحوت والدب"، ورواية الكسندر دوماس، وكتاب الأديب مورو، والعديد من الكتب والروايات الشهيرة في مختلف صنوف المعرفة، كمؤلفات ماركس، ولينين، وكتابات فيكتور هيجو، زد على ذلك اطلع مالك بن نبي على كتابات المستشرقين وما كتبوه عن الإسلام، فكتاب المستشرق الفرنسي مسينوس (الحلاج) في التصوف، و"هكذا تكلم زرادشت" للفيلسوف الألماني نيتشه<sup>(3)</sup>، وتأثر بكتابات كلا من الفيلسوفين ديكارت وكانط، والذي أخذ عنه فكرة الحق والواجب التي أرسى عليها مفهوم العدالة الاجتماعية<sup>(4)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص53.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر كمال مستقاوي وعبدالصبور شاهين، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1987م، ص69-71.

(3) مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مصدر سابق، ص89.

(4) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر: عبدالصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986، ص54.

إضافة إلى كتابات المؤرخين الفرنسيين أمثال المؤرخ الفرنسي "جينرو دولز"<sup>(1)</sup>، كما لا نستطيع إغفال الإشارة إلى المؤرخ "ارنولد توينبي" ومؤلفه "دراسة التاريخ"، والذي كان له بالغ الأثر في فكر بن نبي ونظريته في الحضارة، ونظرية التحدي ونشوء الحضارات، والتي قام بصياغتها على ضوء القرآن الكريم<sup>(2)</sup>. كما استفاد أيضاً من الفيلسوف الألماني هرمان كيرلينغ، وخاصة حول فكرة البدايات الدينية لكل الحضارات الإنسانية<sup>(3)</sup>.

إذا يتضح ومن كل ما تقدم التأثير الواضح والكبير للثقافتين العربية الإسلامية والغربية، في تكوين وتشكيل أفكار وآراء مالك بن نبي مما جعله متأثر بالفلسفات الكثيرة، فكانت مصادره الفكرية فلسفية اجتماعية خاصة، حيث قام بالمزج بين كل تلك المصادر، فأنتج فلسفة خاصة ومنهج معين.

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 80.

(2) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 54.

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 80.

## المبحث الثاني

### • شروط الإصلاح والتجديد الحضاري :

يرى مالك أن الخطوة الأولى، التي ينبغي أن تكون سابقة على كل شيء ، هي تحديد مواطن الداء، وتشخيص الأمراض التي أدت إلى الوصول بالمجتمع الإسلامي إلى ما هو عليه من ضعف وتفكك وجمود، يقول: "وأيا ما كان الأمر فإن عملية إعادة التنظيم والتوجيه ينبغي أن تكون المهمة الأولى في خطة النهضة الإسلامية، لأن تحقيقها هو الذي يوجد الشرط الأول لتحويل الجهود في نطاق هذه النهضة إلى جهود فعالة" (1).

إن المشكلة الأساسية عند مالك بن نبي هي مشكلة الحضارة، وشروط حل هذه المشكلة هو الارتقاء بالفكر إلى درجة الوقائع الإنسانية ذات الطابع العالمي، ولا يمكن لشعب ما أن يفهم أو يحل مشكلته مالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارة أو تهدمها، وأن حضارة أي شعب تمثل حلقة في سلسلة الحضارات تجسد جهود وأعمال الشعوب باعتبارها أجيال متعاقبة متصلة فيما بينها في سبيل الرقي والتقدم فما هي شروط هذا الرقي وهذا التقدم؟

لقد اتجه مالك بن نبي في تحديده لمشكلات العالم الإسلامي، اتجاهاً مغايراً للقائلين بأن مشكلات العالم الإسلامي ترجع إلى الجهل والفقر والاستعمار، فقد رأى " أن الفقر والجهل والاستعمار ما هي إلا نتائج لأسباب سابقة، أصولها موجودة في أنفسنا" (2) ذلك أنه نظر إلى هذا الثلاثي من حيث تأثيره على النشاط الاجتماعي، واعتبره ليس السبب في تعطل نشاطنا الاجتماعي، فالرجل المتعلم عديم التأثير في

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص76.

(2) مالك بن نبي، تأملات، القاهرة، مطبعة طار العروبة، 1961، ص124.



المجتمع ولا فرق بين أثره وأثر الجاهل<sup>(1)</sup>، وأما الفقر فلا يلقى الاهتمام لعلاجيه باستخدام الوسائل المتاحة استخداماً مجدياً، وأما الاستعمار فهو أثر سببه قابليتنا للاستعمار<sup>(2)</sup>.

فهذه الشروط متعددة لكنها تتماسك في وحدة عضوية بفعل المجهود الإنساني، هذا التماسك يفضي إلى معطيات جديدة في الفكر والمجتمع والحياة عامة، فتشرق شمس النهضة الحضارية بنورها ميلاد حضارة ويعيش الإنسان المدنية، هذه المدنية تبقى في حاجة دائمة إلى تطوير، وتجديد معطياتها وأوضاعها بما ينسجم مع سنن الآفاق والأنفس والهداية، من أجل الرقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمراني في عالم الشهادة<sup>(3)</sup>، والتجديد يصبح ضرورياً لميلاد الحضارة، وضرورياً لتطوير مغزاها وارتقائها.

وترى الباحثة أن مهمة الإصلاح الحضاري عند مالك لا تنحصر في البحث عن التجديد والسعي وراءه، بل في إحياء القديم وبعثه وتكييفه مع المستجدات، فنجد الكثير من الشعوب - كما يرى - التي لا تزال تعيش على ما تركه أسلافها، فالتجديد الحضاري بمعانيه المحددة سابقاً يمثل جوهر الحضارة ومحركها، وجوهر التاريخ ومحركه، فشروط الإصلاح والتجديد الحضاري محددة في سائر كتابات مالك بن نبي، خاصة في كتابه "شروط النهضة" وهي الآتي ذكرها:

---

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبدالصبور شاهين، القاهرة، مكتبة دار العروبة، 1959، ص81.

(2) المصدر نفسه، ص87.

(3) الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، الجزائر، 1988، ص10.

## أولاً- العناصر الأولية:

تميز الفكر الإصلاحى عند مالك بالقوة والتمانة نظراً لصلته المباشرة بواقع وحياء المسلمين فى العالم الإسلامى المعاصر، ولتعبيره عن مشاكلهم وهمومهم، وعن آمالهم وتطلعاتهم، وبلوغه مستوى رفيع من الحقيقة فى مناهجه وأساليبه لأنه أخذ بالدين والعلم وبالتارىخ، فما أحوج العالم الإسلامى إلى المشروع للتجديد ولبلوغ السمو الروحى والأخلاقى، ولبناء حضارة تلد منتجاتها الفكرية والمادية، ولضمان التوازن بين المثل والواقع، بين الروح والمادة، وبين الدين والدولة، ذلك هو عين التحضر وقمته، وهو مبتغى الإسلام ومقصده الثروة الأولية لإنسان يرغب فى شق طريقه نحو النهضة والحضارة والمدنية، هى ما يعرف عند مالك بن نبي (بالعدة الدائمة)، حيث تتكون هذه الثروة الإنسانية من الإنسان والتراب والوقت، وهكذا لا يتاح لحضارة فى بدايتها رأسمال، إلا ذلك الرجل البسيط الذى تحرك، والتراب الذى يمدّه بقوته الزهيد، حتى يصل إلى هدفه، والوقت اللازم لوصوله والعدة الدائمة ميراث الإنسان والتارىخ والمجتمعات، ليست حكراً على أحد، وهى ليست من منجزات أو منتجات الحضارة، فالحضارة تتكون وتتركب منها، قصور ودور ووسائل النقل والاتصال المتطورة هى منجزات الحضارة، لا من العناصر الأولية، وإذ كان الإنسان غير قادر على التخلي عن طبيعته الاجتماعية والمدنية، فهولاً يمكن أن يفرط فى العناصر الثلاثة، التى تمثل رأسماله الأولى لتحقيق وجوده الاجتماعى والمدنى، وإن كان قادراً على الاستغناء عن منتجات الحضارة ومنجزاتها مؤقتاً.

إن الشعوب التى شاركت فى الحرب العالمية الثانية قيمت خسارتها فى الحرب ليس بالذهب، بل بساعات العمل، أى بقيم من الوقت ومن الجهود البشرية ومن منتجات التراب، تلك هى القيم الخالدة التى نجدها كلما وجب علينا العودة إلى بساطة

الأشياء، أي في الواقع كلما تحرك رجل الفطرة وتحركت معه حضارة في التاريخ<sup>(1)</sup>، فالحضارة بسائر منجزاتها ومنتجاتها الفكرية والمادية ترد في أصلها إلى "العدة الدائمة"، وأي منتج حضاري هو حصيلة تآلف بين العناصر الأولية الثلاثة، فالمصباح الذي نستعمله في الإنارة هو منتج حضاري، أنجزته جملة من الأفكار تطورت مع الزمن عند الإنسان، الذي يمثل العنصر الأول الذي يدخل في إطار التدخل البشري الفكري واليدوي، ابتداء من أول إنسان فكر في المصباح وصنعه، إلى "إديسون" مخترع المصباح الكهربائي، أما التراب فهو العنصر الثاني، فيمثل المادة الأولية التي تقوم بمهمتي الوصل أو الغزل، والزمن هو الذي تجري فيه عملية الإنجاز والبناء لأي ناتج حضاري، فالعناصر الأولية الثلاثة للإنسان، التراب، والوقت، كل منها يمثل نوعاً يتحدد بماهيته، أي بجملة الصفات الجوهرية المشتركة بين مجموعة من الكائنات، فالإنسان نوع يتحدد بوجوده النفساني العاقل الاجتماعي الروحي، والأمر هنا يشمل كافة أفراد الإنسان، والتراب نوع يمثل مادة أولية حالة في الطبيعة توظف في بناء الحضارة .

أما الوقت، فهو نوعاً يمثل أي زمن تجري فيه الأحداث الإنسانية، ويتحرك فيه المجتمع داخل التاريخ، وتتكون في مجاله الحضارة، ذلك إن مشكلة الحضارة كما يراها مالك بن نبي هي مشكلة الإنسان، ومشكلة التراب، ومشكلة الوقت، ويتم التفاعل بين هذه العناصر الثلاثة بفكرة دينية، وهو ما رافق تركيب الحضارة (أي حضارة) عبر التاريخ، وهذه الصيغة تأخذ شكل المعادلة التالية: إنسان + تراب + وقت = حضارة (2) .

(1) أسعد المسحراني، مالك بن نبي مفكراً ومصلاً، مرجع سابق، ص 195.

(2) مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، مصدر سابق، ص 139.

## ثانياً- الفكرة الدينية:

يرى مالك أن الفكرة الدينية هي الأساس والمحرك الفاعل لأي حركة تغييرية فالدين عنده عامل أساسي في إحداث التغيير الاجتماعي، ويرى أن آلية الحركة التاريخية إنما ترجع في حقيقتها إلى مجموعة من العوامل النفسية التي تعتبر ناتجة عن بعض القوى الروحية ، وهذه القوى الروحية هي التي تجعل من النفس المحرك الجوهرى للتاريخ، وكثيراً ما كان يتوقف عند لحظة دخول الدين إلى المجتمع ليوضح الأثر الذي تحدثه الفكرة الدينية في البناء الاجتماعى للمجتمع البدائي وكيف يتحول إلى مجتمع تاريخي ، وهو هنا يرى أن الدين في تركيبه لعناصر الحضارة أشبه بتوصيل أطراف الأسلاك الكهربائية، ويمكن تشبيهه بالعامل الوسيط في التفاعلات الكيميائية ، فالأكسجين والايديروجين لا يكونان الماء تلقائياً، بل إن ذلك التركيب يخضع لقانون معين يقتضي تدخل مركب ما، بدونه لا تتم عملية تكون الماء، وهذا العامل هو الفكرة الدينية، يقول: " ينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها"<sup>(1)</sup>.

إذاً فالاجتماع يظهر في صورة مجتمع يبقى في حاجة كبيرة إلى عقيدة موحدة تنشئ العلاقات والقيم الأخلاقية، وتبث في أفراد المجتمع الشعور المشترك بحاجة الأفراد إلى بعضهم البعض، وبوجود رسالة ووظيفة في مستوى الفرد وفي مستوى الجماعة وفي مستوى الأمة، وبوجود مبادئ وغايات لا تضمن وجودها إلا بالوسائل والسبل المناسبة، فتكون هذه العقيدة الموحدة هي الدافع إلى النهوض بالرسالة والوظيفة داخل المجتمع، فيبدأ التاريخ وتتطلق الحضارة، فالتاريخ يصنعه الإنسان، والحضارة

---

(1) المصدر نفسه، ص75.

إنتاج إنساني في التاريخ، وهذا الصنع وهذا الإنتاج من فعل الإنسان بدافع من الفكرة الدينية<sup>(1)</sup>.

فالعقيدة تغذي الروح مثلما يتغذى الجسم من الأشربة والأطعمة، والحضارة في طورها الأول تشترط عوامل روحية دينية تكون وراء كل تجديد في النهضة الحضارية، وهو الأمر في الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية والحضارة البوذية وغيرها، تعلق المسلمون الأوائل بالإسلام وبالفكرة الدينية وكانوا قبل ذلك في جاهلية، وهو تعلق له أسباب ودوافع لم يسمح لتقاليد وأحكام وأفعال الجاهلية المردودة مثل وأد البنات، والزنا، والوثنية، والعصبية بأن تقف في وجه الفناء الروحي في تعاليم القرآن وسنة الرسول وبذلك بزغت شمس الحضارة وسطع نور النهضة في صحراء العرب القاحلة، وعند رجل الفطرة الذي لا يعرف سوى الحل والترحال بحثا عن الكلاء لعياله وأنعامه. يرى مالك بن نبي أن الحضارة ليست وليدة الجغرافيا والمناخ في صورة التحدي والاستجابة، ولا العامل الاقتصادي، بل تصنعها فكرة دينية<sup>(2)</sup> ومبدأ أخلاقي من خلال التأليف والتوحيد بين عناصرها الثلاثة: الإنسان التراب والوقت، فتشكل الفكرة الدينية المركب في كل تجديد حضاري أو نهضة حضارية، فهي تتدخل إما بطريقة مباشرة، وإما بواسطة بديلاتها اللادينية نفسها في التركيبة المتألفة لحضارة ما وفي تشكيل إرادتها، وإذا كان للحضارة عمر كعمر الطفل، فإن المهد الذي تولد فيه هو الفكرة الدينية، والحضارة حسب مالك بن نبي تشهد ثلاثة أطوار هي: - طور النهضة والميلاد، وطور الازدهار والأوج، وطور الفساد والأفول.

---

(1) حسن صعب، الإنسان هو الرأسمال، مجلة عالم الفكر، مجلد 2، العدد 4، وزارة الإصلاح، الكويت، 1992، ص130.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص103.

أما الطور الأول، فهو روعي تنتظم وتتضبط فيه الغرائز تحت سلطات الروح بتوجيه من الفكرة الدينية، ويتطور المجتمع الذي أنجبته الفكرة الدينية في المرحلة الثانية بفعل اكتمال روابطه الاجتماعية، وبمدى انتشار الفكرة الدينية في العالم، فتبرز المشاكل وتكثر المطالب، وتكون النتيجة التالية: فإما أن يكون هناك تطابق مع النهضة كما نراها بالنسبة إلى الدورة الأوربية، وإما أن يتطابق مع استيلاء الأمويين على الحكم كما هو شأن الدورة الإسلامية<sup>(1)</sup>، وفي الحالتين تكون السلطة في يد العقل الذي لا يملك سلطة النفوذ على الغرائز التي تسترجع نفوذها بفقدان الروح لنفوذها عليها، فتظهر بوادر الانهيار والأفول، فتأثير الفكرة الدينية في الروح الفردية والروح الاجتماعية هو الذي يحدث الدوافع والأسباب في روح الفرد والمجتمع إلى النهوض، ويكون هذا الحال وراء كل إصلاح تجديد حضاري، وخلق كل حضارة، وأساس حركة الإنسان في التاريخ.

### ثالثاً- التغيير:

إن التغيير الذي يعرفه التاريخ ويمس حياة الفرد والمجتمع والأمة هو جوهر ولب عملية التجديد الحضاري، قبل الحضارة وخلالها وبعدها، وكما يكون التغيير شرطاً لازماً لبناء الحضارة، فهو شرط كل تطور حضاري، وشرط كل عملية إصلاح أو بعث وإحياء، وكما يكون التغيير شرط البناء الحضاري، فقد يشرف على هدم هذا البناء وإزالته، ومالك بن نبي يضع التغيير كفاعلية إنسانية فردية واجتماعية وأممية وراء كل نهضة<sup>(2)</sup> ومبدأ التغيير عنده يمثل قاعدة ذهبية أكد عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(3)</sup>.

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 103.

(2) رابح سناني، الفكر الديني المعاصر في الجزائر، أصوله واتجاهاته، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ط 1  
2000، 2001، ص 231-233.

(3) سورة الرعد، الآية 11.

إذاً يعتبر مالك بن نبي مبدأ التغيير قاعدة عامة في كل حركة تاريخية حضارية، فهو يلزم كل عملية من شأنها أن تجدد أو تطور أو تصنع التقدم والإبداع في مختلف مجالات حياة الإنسان الفكرية والاجتماعية والمادية، كما تناوله كمشكلة مطروحة أمام العالم الإسلامي الذي يعاني الجمود والركود والتخلف، وحل هذه المشكلة مرهون بتمسك المسلم بالقاعدة المقررة في الآية السابقة، خاصة وأن عناصر الحضارة كامنة في جوهر الدين، والتي تتمثل في أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إصلاح المسلم والمجتمع الإسلامي يقول: " في المجتمع المتحضّر يقع كل خطأ في الأسلوب تحت طائلة النقد، ويقع كل خطأ في السلوك تحت إرغام المجتمع، وهكذا يحافظ المجتمع على نقاء أسلوبه وعلى الصفات المميزة لفعاليته، وهي وظيفة الثقافة، هذا التبادل بين الجسم الاجتماعي والفرد عرّف به الله المسلمين بقوله ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>.

هنا وكما تري الباحثة من خلال افكار مالك أن مهمة الدين ليست في إنشاء الحضارة فقط، بل تأثيرها يتواصل متجاوزا حدود الزمان والمكان، وعدة الحضارة الخالدة هو الإنسان الذي يتحرك في الحضارة بدافع الروح الديني، فينتج الأفكار والأشياء، أي ينتج الحضارة ويحرص على تطويرها وحمايتها من الفساد والإفلاس والزوال<sup>(2)</sup>.

إن عملية إنتاج الأفكار والقيم والأشياء بفعل التجديد الحضاري تكون بدافع الفكرة الدينية، هذه العملية تتضمن تغييرا يحدث في روح الفرد وروح المجتمع وروح الأمة،

(1) سورة آل عمران ، الآية ، 110 .

(2) عمر النقب، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، ط1، الشركة الجزائرية اللبنانية، 2009، ص75.

وعامل التغيير يبدأ في داخل نفس الفرد، ولا يتغير شيء في الخارج إن لم يغير الفرد نفسه، فهذه الحقيقة علمية يجب أن نتصورها كقانون إنساني وضعه الله عز وجل في القرآن كسنة من سنن الله التي تسير عليها حياة البشر<sup>(1)</sup>، ولا يحصل التغيير في محيط الفرد ما لم يحصل في نفسه أولاً، وتغيير النفس هو الأساس لكل تغيير هادف رشيد، فالاستعمار لم يستطع فعل شيء أمام فرد ذي نفس تحررت من المذلة بفعل تغيير نفسي مكنها من القيام بوظيفتها الاجتماعية.

فالتغيير ضرورة لأبد منها؛ لكي يحقق الإنسان وجوده في التاريخ، ويقوم بوظيفته الاجتماعية التاريخية، والتغيير يبدأ من داخل نفس الفرد، ثم يشق طريقه خارج الفرد في المجتمع والأمة والإنسانية جمعاء، هذا المبدأ لا يؤكد تاريخ النهضات والحضارات بمفرده، بل يمثل مبدأ قرآنياً ثابتاً، وسنة من السنن الكونية وضعها الله لتهدى حياة العباد، كما يمثل هذا حقيقة علمية، فالفرد لا يمكنه أن يغير شيئاً في الخارج إن لم يغير شيئاً في نفسه، وحينما نقول هذه الكلمة نقولها باعتبارها علماً، ولا نقولها فقط تبركاً بآية، نقولها علماً ونعلم مقدارها من الصحة العلمية<sup>(2)</sup>.

وبالتالي يظل التغيير فاعلية إنسانية ضرورية للتجديد الحضاري عند إنسان تحرك في التاريخ ليحقق وجوده، عند إنسان صارت إرادته قوية ورغبته كبيرة في الارتقاء الحضاري، عند إنسان يعاني الفساد فتتحرك لإصلاح أوضاعه، عند كل من شق طريقه نحو البعث والإحياء وإعادة البناء، وهجران الجمود والتخلف والانحطاط<sup>(3)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، مصدر سابق، ص58.

(2) سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، مرجع سابق، ص69.

(3) مالك بن نبي، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، مصدر سابق، ص59.



## رابعاً- البناء لا التكديس :

يعتمد مالك بن نبي في تحديد شروط النهضة والتجديد على شواهد تاريخية، كما يستقرئ الواقع، واقع الأمم المتحضرة، وظروف الشعوب المتخلفة، ويرجع مشكلات الإنسان جميعاً إلى مشكلة الحضارة، فالقضية إذا ليست قضية فقر، وإنما هي أمر يتعلق بأساس مشكلاتنا، فعلىنا أن نفكر في جذور المشكلات، فعندما بدأ العالم الإسلامي يشعر بتخلفه إثر احتكاكه بالحضارة الغربية التي انطلق منها الاستعمار، أخذ يبحث عن علاج لمرض دون أن يحدد طبيعة مرضه، وهكذا فقد توجه العالم الإسلامي إلى الحضارة الغربية يطلب عندها العلاج ، وهو بهذا التصرف إما أن يحصل على الدواء والعلاج الذي يشفيه أو يحصل على دواء يميته لأنه لا يناسبه ومنذ استيقظنا على تخلفنا، أخذنا ننهض في اتجاه حضارة منشودة، حقيقة لقد كانت مشكلتنا أننا نسير ببطء نحو الحضارة التي نشدها مفكرو النهضة، وأننا اتجهنا نحو تكديس عناصر مجتمع وليس بناء مجتمع<sup>(1)</sup>.

وهذا جعلنا ندرك أن القضية قضية حضارة، وما الفقر والغني، ولا الجهل ولا المرض، إلا أعراض لتلك المشكلة الأساسية<sup>(2)</sup>، إن مشكلتنا أننا نكدس الأشياء، ونكدس الدراسات ولكننا لا نبني، فدراسات معالجة الفقر أو الجهل، مثلاً، ما هي إلا دراسات تكديسيه تسعى إلى بيان إحصائيات ثم تطرح العلاج على شكل النقيض فالفكرة الدينية هي التي تدفع الإنسان ليتحرك في التاريخ ويغيره، ويركب بين عناصر " العدة الدائمة"، كما يتطلب التغيير في كل مرحلة من مراحل التحضر وفي كل طور من أطوار التجديد، فتقتضي الحضارة تجنب الاتكال على الغير، وتحاشي أسلوب الاستيراد والتكديس، فلا يتحضر شعب إلا إذا امتلك وعياً حضارياً يميز بين

(1) مالك بن نبي ، حديث في البناء الجديد، مصدر سابق، ص93.

(2) أحمد اسعد المسحراني، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، مرجع سابق، ص184.

البناء والتكديس، وبين الإنتاج والاستيراد، فالبناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس، ولنا في أمم معاصرة أسوة حسنة، إن علينا أن ندرك بأن تكديس منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة<sup>(1)</sup> إن عملية إنشاء الحضارة لا تتم بشراء كل منتجاتها وتكديسها، لأن ذلك مستحيل من حيث الكم والكيف معا، فالحضارة لا تتبع كل منتجاتها مرة واحدة، فهي لها روح وأفكار وأذواق خاصة بها تبقى لها، وفي استخدامنا للمصطلحات البيولوجية نجد أن الحضارة مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي "البيولوجي"، حيث ينشأ ويتقوى هيكلها، وبين المجال الفكري، حيث تنمو وتولد روحها، فعندما نشترى منتجاتها فإنها تمنحها هيكلها وجسدها لا روحها، وتعجز الأمة المستوردة عن شراء كل منتجات الحضارة ودفع ثمنها؛ لأنها لا تملك رأسمال ذلك، فالاستحالة هنا تاريخية واجتماعية اقتصادية، والتسليم بالإمكان يؤدي إلى "الحضارة الشيبئية"، لكن يوجد فرق شاسع بين تجربة مخططة والحالة الحضارية القائمة على التكديس، هذا ما يجعل البناء شرطاً ضرورياً لقيام أية حضارة على الأرض، ويصبح المقياس العام في عملية التحضر هو الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حتماً أن نعكس هذه القاعدة حين نريد أن نصنع الحضارة من منتجاتها<sup>(2)</sup>.

إن الحضارة عملية بناء، وناتج حركة أفراد المجتمع، تتطلب أسسا فكرية ومادية في عالم الأشخاص والأشياء، في إطار منهج يحدد المبادئ والغايات، كما يستغل كافة الوسائل والسبل لأداء الوظيفة الاجتماعية، هذه الوظيفة لا تحصل في غياب التوازن الروحي المادي في الفرد والمجتمع، وفي ارتباط الحضارة بعناصرها الأولية من جهة، وبالتغيير من جهة ثانية، وبالبناء من جهة أخرى، تصبح مشكلة الحضارة تتحل في

(1) عمار جيدل، نقد مسالك المسلمين في التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة رؤى، العدد 20، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003، ص 71.

(2) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 167.

ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، ومشكلة الوقت، فلكي نقيم بناء حضاريا لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات؛ وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها<sup>(1)</sup>، ولحل المشكلات الثلاث واستغلال شروط البناء استغلالاً رشيداً يسمح بإنشاء حضارة، فذلك يتطلب توجيهاً رشيداً لعناصر وشروط النهضة وسائر إمكانيات وطاقات الفرد والمجتمع<sup>(2)</sup>.

### خامسا- التوجيه:

نفهم ظاهرة التوجيه كشرط ضروري للنهضة والتجديد الحضاري انطلاقاً من أن النهضة مشروطة بالتغيير الذي يقع على مستوى الفرد والمجتمع، هذا التغيير الذي يضمن تحرك التاريخ بفعل دوافع نفسية واجتماعية، ولا يؤدي المجتمع رسالته وينهض بواجباته إلا بوجود ترابط عضوي بين مكونات شبكة العلاقات الاجتماعية والتي تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث تمثل تأثير عالم الأشخاص، وتأثير عالم الأفكار، وتأثير عالم الأشياء ، ولكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج أيديولوجية من عالم الأفكار، يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء، من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص<sup>(3)</sup>.

فالتغيير التاريخي من إنتاج العوالم الثلاثة، ووحدة التغيير التاريخي ضرورية، كون انسجام وحدة التغيير التاريخي مع الغاية منها ضروري، ذلك هو ما يجسد الحضارة في الواقع، هذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود عالم رابع، هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية، أو ما يطلق عليه شبكة العلاقات الاجتماعية، إذ تنطلق عملية التغيير التاريخي من الفرد، ثم تنتقل إلى خارج الفرد، وهي عملية محددة بتوجيه الفرد

---

(1) جيلاني أبوبكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، الجزائر، ب.ت، ص98.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 65، 66.

(3) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 23 ، 24.

بحيث لا تتركه عرضة للتلقائية والصدفة والارتجال والفوضى، والتوجيه كعامل حضاري يعني قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف، كما يعني: تجنب هذا الإسراف في الجهد والوقت فالمشكلة برمتها مشكلة فرد يصنع التاريخ من خلال تأثيره في المجتمع بفكره وعمله وماله، والتوجيه يكون في هذه النواحي الثلاث: الفكر والثقافة، والعمل ورأس المال<sup>(1)</sup>.

بالنسبة لتوجيه الفكر والثقافة يتعلق الأمر بالعناصر الجوهرية اللازمة للثقافة، وهي مكونات المركب الاجتماعي للثقافة، وأسلوبها التوجيهي ينحصر في توجيه الأخلاق، وتوجيه الجمال، وتوجيه المنطق العملي، وتوجيه الفن التطبيقي العملي، والعلاقة العضوية بين المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي هي التي تحدد اتجاه الحضارة، والمنطق العملي يمثل الأسلوب الذي يربط الأعمال بوسائلها ومعانيها، ويبعث في العمل الفعالية، لأن كثيراً من الأفعال تتميز باللافعالية، فيذهب الأكبر منها في العبث واللهو، والصناعة أو الفن التطبيقي الذي يحتاج إلى توجيه يتعلق بجميع الفنون والحرف والقدرات والتطبيقات العلمية، فالصناعة فن له قيمة اجتماعية مهما كان متواضعاً وزهيداً، فحرفة الرعي زهيدة ومتواضعة جداً، بل وضيفة عند البعض في المجتمعات المتخلفة، هذه المهنة لها مدرسة وطنية في فرنسا بمدينة "رامبوليه" في ضواحي باريس، فلو رأينا الراعي الخريج من هذه المدرسة، والراعي عندنا وكيف يقود كل منهما قطيعه لعلمنا الفرق بينهما.

أما فيما يتعلق بتوجيه العمل عند مرحلة تكوين المجتمع، فهو يعني سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، ذلك أن كل صاحب حرفة، وفي كل يوم يصنع حجرة جديدة في البناء الاجتماعي، فتوجيه العمل هو تأليف كل الجهود لتغيير وضع

---

(1) عبداللطيف عباده، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 67.

الإنسان وخلق بيئته الجديدة (1) ، فتوجيه العمل يمثل عاملاً ضرورياً للبناء الاجتماعي وصنع الحضارة في التاريخ، وفي الوقت نفسه وسيلة لكسب الحياة، وحين يتحد توجيه الثقافة وتوجيه رأس المال يفتح مجالات جديدة للعمل، والعمل لدى الإنسان انبثق في بدايته الأولى عندما تحركت يد الإنسان وشقت الطريق إلى الفكر، فأعدت الجو المناسب لتطوره، وكلما تقدم التوجيه المثلث للإنسان تغير وجه الحياة، فيكتمل ويحتل مستوى أرفع دائماً.

يحدد مالك بن نبي رأس المال كأداة اجتماعية لا سياسية وهو في ذلك يخالف "كارل ماركس، والذي تناول رأس المال ضمن ظروف وأوضاع المجتمع الرأسمالي في عصره الذي كان يعرف اضطهاد الطبقة البرجوازية لطبقة البروليتاريا، في حين مالك بن نبي، تناوله ضمن الظروف التي تعيشها البلاد الإسلامية في عصره، وهو يؤكد على الفرق بين الثروة، التي هي ملك خاص لصاحبه، ليس له عمل مستقل وليست قوة مالية تدخل في بناء الصناعات والميادين الاقتصادية الأخرى، وبين رأس المال، الذي هو قوة مالية تدخل في تغيير وتطوير الاقتصاد، فهو المال المتحرك، وهو مجرد لا ينسب إلى أحد، فحركته في داخل المجتمع وخارجه تحرك الأنشطة وتوظيف الأيدي والعقول، وتوجيه رأس المال يكون في الكم بحيث يعرف الشمول والتوسيع، وفي الكيف بحيث يخلق الشغل باستمرار (2).

وهنا يؤكد في توجيه الثروة المالية بقوله: " فالقضية ليست كما بينا في تكديس الثروة، ولكن في تحريك المال وتنشيطه، بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وذلك بتحويل

---

(1) عائشة يوسف المناعي، مظاهر التجديد في فكر مالك بن نبي، مجلة المسلم المعاصر، جمعية المسلم المعاصر عدد 106، مصر، 2002، ص134.

(2) اشرف دلاور، قضايا ومعالم في طريق الإصلاح الاقتصادي، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1994، ص37.

معناها الاجتماعي من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك، ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد" (1).

إن توجيه الإنسان في النواحي الثلاث السابقة لغرض التجديد الحضاري يرتبط بتوجيه التراب والوقت، بل يشترط ذلك ليكون الفعل الحضاري متكاملًا، فالتراب عنصر من عناصر تكوين الحضارة، وقيمتها الاجتماعية تكون على قدر مالكيه من التقدم أو التخلف والانحطاط، ففي الجزائر أخذت الأراضي الزراعية تختفي شيئاً فشيئاً بفعل زحف الرمال وغزو الصحراء وسكان الأرض، وقفوا منها موقف الجبان والضعيف، لقد فر ساكن البادية، فهو الآن تائه حائر بين الصحراء التي تبده، وبين المدن الساحلية التي ترفضه أو تبتلعه حيث تجعل منه إنساناً منبوذاً، أما في فرنسا، فانطلق الإنسان وقام بغرس أشجار في الناحية الجنوبية الغربية من البلاد، حيث كانت رمال الشاطئ الأطلنطي والمستنقعات الضارة تهدد مصالح أهلها وصحتهم (2).

إن الزمن هو الوعاء الذي يسمح بغرس الأفكار ونموها وتطورها ، وهو الذي يمكن اختزاله أو إطالته، بتأثير العنصر الأول المتمثل في الإنسان ، على حسب مقدار الفاعلية من جهة أو التراخي من جهة أخرى، وهو جوهر الحياة الذي لا يقدر بثمن، ويرتبط بالتاريخ ولا يتحدد معنى التأثير الإنساني في الإنتاج ، ولا يتحدد معنى الوجود الإنساني إلا بتحديد فكرة الوقت ووعي قيمته، والتربية هي الأداة الوحيدة التي تغرس في أفراد المجتمع قيمة الوقت وتثبتها فيهم، " فإذا استغل الوقت هكذا فلم يضع سدى ولم يمر كسولاً في حقلنا، فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي، وهذه هي الحضارة" (3).

---

(1) مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، 1981، ص 67.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 265.

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق ، ص 214.

إذاً فإن التجديد والإصلاح في الحضارة من حيث تكوينها، أو تطورها، أو استمرارها، يكمن في إصلاح أوضاعها ويقتضي عدة دائمة، وتغييراً يبدأ من داخل الفرد ثم يتجه إلى الخارج، فيحصل البناء من خلال توجيه وتخطيط يربط المبدأ بالغاية، ويستغل جميع الوسائل والمناهج لخدمة الإنسان، ولتحقيق أغراضه القريبة والبعيدة (1).

هكذا يتضح وكما تري الباحثة ، بأن مالك بن نبي يؤكد أن عملية البناء والنهضة والتطوير ليس باستيراد النظم السياسية الغربية، وإنما عملية بناء أساسها الإسلام، والثقافة، والسياسة والاقتصاد والتربية، فخطوات الإصلاح تنطلق من الإسلام الذي يشكل الإطار الحضاري للعالم العربي والإسلامي، حقيقة أن مالك يؤكد في معظم مؤلفاته أن شروط وأسس الإصلاح هي تصفية عاداتنا وتقاليدينا وإطارنا الخلقي والاجتماعي، من عوامل الضعف، ورمي مالا فائدة منه لكي يصفو الجو للعوامل الداعية إلى الحياة، وهذه التصفية لا تكون إلا في ظل فكر جديد يحطم الوضع الموروث عند فترة تدهور المجتمع (2).

---

(1) الجيلاني أبوبكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي ، مرجع سابق، ص102.

(2) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، ط4، دار الفكر، دمشق، 1984، ص68.

## تعقيب

نستطيع القول أن فكرة التجديد والإصلاح عند مالك بن نبي جاءت نتيجة واقع الحياة الاجتماعية والدينية في حياة المسلمين ، كونها كانت تمر بأوضاع متردية لذلك وضعت محاولات هي بمثابة تُشكّل لبنة فكرية تعمل علي تغيير النفس والفكر والواقع في العالم الإسلامي، حتي وأن تميزت بالقوة لارتباطها بالإسلام وبالعلوم المزدهرة ، وملتزمة بأطر أحكام القرآن والسنة، وطريق السلف الصالح ومناهجهم، وبذلك كانت تجديداً لآليات التطور الاجتماعي في كل المجالات كون لها حضارة إنسانية وللاستفادة من الإيجابي منها، ووعياً لخطورة الانفصال عنه وإلغاء أثره، فلا بد من إلغاء الرجعية الكلية للتراث، وإطراء الفعالية الإيجابية التي تتفاعل مع الحاضر ووقائعه لتحقيق الأهداف، فكانت هناك رؤية فلسفية إلى الإنسان والحياة والتاريخ والحضارة، والتي مثلت مشروع خطة ذات طابع فكري نظري، للنهضة وللتجديد ولبناء الحضارة، وللدخول إلى التاريخ، وإلى حلبة المعترك الحضاري، واحتلال أمة الإسلام لمكانتها اللائقة بها في إطار الحوار والتواصل الحضاريين.



## **الفصل الثاني**

### **مشكلة الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي**

المبحث الأول: مفهوم الحضارة والثقافة .

المبحث الثاني: عناصر الحضارة والثقافة .

المبحث الثالث: طبيعة مشكلة التخلف .

## المبحث الأول

### مفهوم الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي

#### أولاً: مفهوم الحضارة:

عمل مالك بن نبي على وضع تعريف شامل لمفهوم الحضارة ومشكلاتها من خلال مؤلفاته التي تمحورت في أغلبها، حول هذا الموضوع وأخذت حيزاً كبيراً من اهتمامه من خلال بحوثه ودراساته وجاءت في سلسلة فكرية وثقافية عنوانها مشكلات الحضارة فشكلت الحضارة نقطة استراتيجية في فكره فحاول تطهيرها وإعطاء تفسيرات عميقة لها فعرّفها من عدة جوانب، فاعتبرها ذلك الكل الذي يحوي العناصر الفكرية والفاعلية النفسية والوظيفية، وقال "الحضارة هي إنتاج فكرة حية تطبع على المجتمع نظامه الفكري طبقاً للنموذج المثالي الذي اختاره، وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى، والحضارات الأخرى" (1) وفي هذا التعريف الذي اعتمد على أساس المبدأ والذي تتأسس في ضوئه هذه الحضارة وطبيعة مجتمعها، وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل، يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى، وكما أن للأفكار دور الحضارة بالأخص إذا كانت بناءة تمتاز بالحيوية، والسعي إلى تحقيق الفاعلية في المجتمع، فالأفكار الحية تكون فاعلة، ومتينة النتائج.

وكما عرف بن نبي الحضارة على اعتبار جوهرها حيث قال: بأنها في جوهرها عبارة عن مجموع من القيم الثقافية المحققة، وفي هذا التعريف تتطابق معنى الحضارة مع معنى الثقافة وأضاف بأن الثقافة هي جوهر الحضارة، فكل واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت إلى حيز التنفيذ، فجوهر الأول هو جوهر الآخر (2).

(1) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: محمد عبدالعظيم علي، دار الفكر، 1970، ص 49.

(2) المصدر نفسه، ص 98-102.

ووفق ذلك فسر مالك بن نبي التحضر بأنه "أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية من اجل وظيفتها التاريخية (1).

ولهذا قال أن الحضارة بناء مركب اجتماعي يشمل ثلاثة عناصر فقط مهما كانت درجة تعقدها كحضارة القرن العشرين (2).

فمشكلة الحضارة في تحليل مالك بن نبي تتحل إلى ثلاث مشكلات رئيسية هي مشكلة الإنسان ومشكلة التراب، ومشكلة الزمن، فكل حضارة تستلزم رأس مال أولي مكون من هذه العناصر فهي مركب من هذه العناصر الثلاثة الأساسية، ولا بد من أن يركبها العامل الأخلاقي، ويحتم تماسكها ومن دون هذا العامل يوشك أن تتمخض العملية عن كومة لا شكل لها وجهة بدلا من أن تكون كلا محدد في مبناه وفيما يهدف إليه.

وإضافة إلى ذلك عرف بن نبي الحضارة تعريفاً وظيفياً، حيث قال: "الحضارة يجب أن تحدد من وجهة نظر وظيفية فهي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من افراده، في كل طور من اطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه" (3) وفي هذا التعريف يشار إلى أهمية المجتمع واسبقيته في العمل الحضاري، ويظهر ذلك من خلال تركيز مالك بن نبي على عنصر شبكة العلاقات الاجتماعية وتحديدها.

وكما عرفها بأنها صناعة ذاتية من طرف شعب معين فقال " تقليد حضارة أخرى لا يصنع حضارة حقيقية، بل يصنع صورة حضارية فمجرد شراء الأشياء من

---

(1) مالك بن نبي، ميلاد مجمع، مصدر سابق، ص 88.

(2) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 198.

(3) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 50.

الناحية الكمية أو الكيفية لا يكفي لصنع حضارة حقيقية، حيث أن شراء الأشياء لا روح فيها تصنع حضارة شيئية<sup>(1)</sup> أي أن الحضارة عملية أصلية خاصة بشعب معين دون تقليد أو تكديس منتجات الآخر فالحضارة لا تستورد من الخارج أيا كان هذا الخارج متقدم ومتطور، إنما هي نتيجة الجهد الذي يبذله الشعب الذي يريد أن يتحضر كل يوم، إضافة إلى ذلك أشار مالك بن نبي إلى أن الحضارة ما هي إلا أطوار اجتماعية يمر بها المجتمع عبر تاريخه الطويل<sup>(2)</sup> حيث قال: "فلقد جاءت حضارات وذهبت ولكن الحضارة بمعناها العام، قد استطاعت في كل مرة أن تعود فتجسد في صورة مجتمعات متحضرة<sup>(3)</sup> .

وبالإمكان القول أن الحضارة في أبسط تعريفاتها عند بن نبي بأنها ليست كومة من الأشياء المختلفة والمتنوعة وإنما هي كل منسجم من الأشياء والأفكار، ومن العلاقات والمنافع والسمات وهي بناء وهندسة وتجسيد الفكرة أو مثل علمي، فكل حضارة في التاريخ لها سماتها المميزة<sup>(4)</sup>، وهي مجموعة من المبادئ المتداخلة التي تساعد الإنسان على التطور والنمو وتحقيق الارتقاء الحضاري.

إذا فالحضارة بصفة عامة هي انتقال الفرد من طور البدائية إلى الطور الحضاري وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تميز بها في مراحلها الأولى من حياته وتحويلها إلى مجرد كتلة من القدرات والصفات الفطرية المتشابكة، إلى شخصية، وذات تعي هويتها الاجتماعية ومهمتها في إطار أفكار وسلوكيات متعارف عليها.

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 42،43.

(2) جيلالي بو بكر، مرجع سابق، ص 44،45.

(3) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، تر: أمين محمود الشريف، دار احياء الكتب، حلب، د. ت، ص 32.

(4) مالك بن نبي، الفكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 79.

## ثانياً : مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي:

وضع مالك بن نبي مفهوماً للثقافة، كان محملاً برؤى جديدة في محاولة لدراسة الثقافة العربية الإسلامية، والمتصفح لمؤلفاته يجد ورود الكثير من التعريفات لمفهوم الثقافة حيث تطرق لها من جوانب مختلفة فنجد في كتابه شروط النهضة يورد تعريفاً يضع عنوانه الرئيسي الإنسان حيث قال "بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرسائل أولى في الوسط الذي يعيش فيه والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعة الشخصية"<sup>(1)</sup> .

ومن خلال هذا التعريف نلاحظ أن مفهوم الثقافة مركب من صفات خلقية، وقيم اجتماعية يكتسبها الفرد من خلال المجتمع الذي نشأ فيه منذ ولادته واعتبار هذا الوسط الاجتماعي هو المسؤول عن تكوين شخصية الفرد وطبيعة سلوكه، وفي موضع آخر عرف مصطلح الثقافة قائلاً: "الثقافة هي الرباط العضوي بين الإنسان والاطار الذي يحوطه"<sup>(2)</sup> وأضاف " الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد كما أنها مجموعة من القواعد الأخلاقية والجمالية"<sup>(3)</sup>.

وفي موضع آخر أعطى مالك بن نبي تعريفاً لمصطلح الثقافة فقال: هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة وعنصريات متقاربة، وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة هي كل ما يعطي الحضارة سميتها الخاصة ويحدد قطبيها من عقلية ابن خلدون وروحانية جان دارك"<sup>(4)</sup>.

وفي تعريف آخر يقول " الثقافة هي دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي، فالثقافة في معناها العام هي الجسر الذي يعبره

(1) مالك بن نبي شروط النهضة، مصدر سابق، ص 83.

(2) مالك بن نبي، الفكرة الأفريقية والاسيوية، مصدر سابق، ص 143.

(3) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 94.

(4) مالك بن نبي، لبك حج الفقراء، تر: زيدان خويلف، ط 1، دار الفكر، دمشق 2009، ص 106.

المجتمع إلى الرقي والتمدن فأنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية"<sup>(1)</sup>.

وأورد بن نبي في كتابه مجالس دمشق تعريفاً للثقافة أراد من خلاله توضيح الفرق بين معنى الثقافة وبين كلمة علم وحذر فيه من الخلط بين المفهومين فقال باعتباره العلم مصدر للمعرفة واللباقة والمهارة وفقاً لنوعية البحث العلمي كما أنه يمنح الفرصة لامتلاك القيم التقنية التي تولد الأشياء بينما الثقافة تنتج السلوك والغنى الذاتي الذي يتواجد على كل مستويات المجتمع"<sup>(2)</sup>.

ومن خلال هذه التعريفات نلاحظ ربط مالك بن نبي بين الحضارة والثقافة حيث اعتبر أن الثقافة هي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر"<sup>(3)</sup> بمعنى أن الثقافة التي تعبر عن ماهية الحضارة فهي المجال الذي تنمو فيه الأسس الحضارية .

والثقافة هي الغذاء الأساسي الذي تستمد منه الحضارة قوتها ويضمن استمراريتها وتمثل الثقافة الجانب المعنوي وبينما تمثل الحضارة الجانب المادي، وثقافة المجتمع علاقة متبادلة وهي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي للفرد بأسلوب الحياة في المجتمع، ولا يمكن تصور تاريخ بلا ثقافة فالشعب الذي فقد ثقافته فقد تاريخه حتماً. فالثقافة تمثل العنصر الرئيسي لأن جوهرها الاخلاق التي تجمع بين مركب الحضارة وتضع المجتمع داخل التاريخ"<sup>(4)</sup>.

وللتدليل على ذلك ساق بن نبي مثلاً حين قال " حاولت فرنسا نشر الدين المسيحي في الجزائر، من خلال الدعوات البشرية التي عملت على تدعيم ونشر

---

(1) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص418.

(2) مالك بن نبي، مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق، 2005، ص92.

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص84.

(4) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص77.

الدين المسيحي والقضاء على الثقافة الإسلامية، ولكنها فشلت ذلك نتيجة التنشئة الإسلامية الصحيحة التي قام عليها الأطفال الجزائريون الذين وبمجرد خروجهم من المدارس الفرنسية حتى عادو إلى حالتهم الإسلامية ولم يتأثروا بتلك الدعوة " (1).

---

(1) مالك بن نبي تأملات، مصدر سابق، ص146.

## المبحث الثاني

### المعدلة بين عناصر الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي

ألف مالك بن نبي كتاباً حمل عنوان شروط النهضة والذي لخص فيه مشروعه الفكري، الذي يقوم على محورية الفكرة الدينية في صناعة تاريخ النهضة وفي التغيير الاجتماعي، وأن مشكلة أي أمة هي في جوهرها مشكلة حضارة وإن عناصر النهضة - إنسان - وتراب - ووقت، وهذه العناصر بحاجة لعامل مزج بينها، ليشكل من العناصر الراكدة، نهضة تدخل التاريخ<sup>(1)</sup>، وهذه العناصر هي الزاد الأساسي لإرادة التغيير، وهي الرأسمال المبدئي، وفي هذا المقام قال بن نبي "وليس من الضروري، ولا من الممكن أن يكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب كي ينهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه"<sup>(2)</sup>، والنهضة هنا رهينة بمدى فاعلية الإنسان، وحركته من أجل إنجازها وليست المادة وحدها العاملة على التغيير<sup>(3)</sup> فيتضح هنا إن الإنسان هو محور الفاعلية في حركة النهضة، وهنا أورد ابن نبي قائلاً "القضية ليست قضية أدوات ولا إمكانيات إن القضية في أنفسنا، إن علينا أن ندرس أولاً الإنسان فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن، سكن المجتمع والتاريخ ذلك ما تشير إليه النظرية في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ"<sup>(4)</sup>.

فنرى المجتمع حيناً يزخر بوجود النشاط، وأحياناً نراه ساكناً لا يتحرك، وهل هذه المظاهر غير تعبير عن حركة الإنسان أو ركوده، وترتكز المعضلة على وجوب

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 77.

(2) مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، مصدر سابق، ص 60.

(3) محمد عبد الحميد، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، مرجع سابق، ص 63-64.

(4) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 120.



صنع رجالاً يمشون في التاريخ مستخدمين التراب، والوقت، والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى<sup>(1)</sup> وهذا هو حل مشكلة الإنسان والمجتمعات الإسلامية عامة. ولكن كيف فسّر بن نبي تلك المعادلة وماهية التراكيب التي حدد بها تلك العناصر؟ هنا نأتي علي شرح تلك العناصر فنقول الأتي :

## أولاً: عناصر الحضارة .

### العنصر الأول – الإنسان:

يحتل الإنسان مكاناً مركزياً في نظرية الحضارة عند مالك بن نبي فهو يمثل الجهاز الاجتماعي الأول فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ فهو النواة الأولى للتكوين الحضاري فالإنسان هو روح كل اجتماع حضاري وبدايته، وقيمة أي حضارة يحددها هو وحده لأنه بحركته الإيجابية سوف يشيد صرح حضاري عظيم، وإذا استكان وضعف سوف يتلاشى هو وبناءه الحضاري فالإنسان صانع لجميع الوقائع الاجتماعية، وصانع لنفسه أولاً، وبالذات بوصفه كائناً اجتماعياً<sup>(2)</sup>.

أن الإنسان في رأي مالك بن نبي هو العنصر الأساسي في تشييد أو قيام أي حضارة وأن هذا الإنسان هو الذي يؤثر في تسيير التاريخ فهو منبع وأساس المشكلة الحضارية كلها، وأي تفكير في مشكلته هي في الأساس تفكير في مشكلة الحضارة، وركز بن نبي على الفرد، وتأثيره الفكري والعملية والمادي في المجتمع المنتج للحضارة، ويجب على الإنسان معرفة كيفية التعامل مع التراب، والوقت وتوظيف المواهب، والخبرات من أجل تحقيق أهداف كبرى<sup>(3)</sup>.

وبناء على مكانة الإنسان في مجتمعه فلا بد له من توجيهات لأحداث تغيير متكامل في مختلف الجوانب الحياتية، فيعرف مالك التوجيه قائلاً: "هو تجنب هذا

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 40.

(2) مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 55.

(3) موسى لحرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 106.

الاسراف في الجهد والوقت فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت ، والمهم هو أن نذير هذا الجهاز الهائل في أحسن ظروفه الزمنية، والإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه<sup>(1)</sup>. فوضع مالك في كتابه شروط النهضة مجموعة من التوجيهات الاجتماعية والتي كانت على النحو التالي:

#### أولاً- التوجيه الثقافي والأخلاقي:

لا يقصد بن نبي بالتوجيه الثقافي والأخلاقي المعارف والعلوم، بل يقصد تأثير الوسط والبيئة الاجتماعية في سلوك وطباع وشخصية الفرد، والتي تنعكس عليه سلباً أو إيجاباً، وبالتالي فإن المحيط هو الذي يحدد طبيعة الفرد والمجتمع، متحضر أو متخلف، فالثقافة عند فيلسوفنا هي التي يكتسبها الفرد داخل المجتمع الذي يعيش في نطاقه، من عادات وتقاليد، وقيم، والتي تؤثر فيه منذ ولادته والتي تربطه بطريقة لا شعورية بالمجتمع وعلى هذا الأساس جعل مالك من الأخلاق جوهر الثقافة، لأن في أساسها فكرة دينية، فاهتم بن نبي بالأخلاق من الزاوية الاجتماعية أكثر منها من الناحية الفلسفية<sup>(2)</sup>، فأشار إلى أن العلاقات الاجتماعية هي ظل العلاقة الروحية، وركز على عملية تكييف الإنسان المسلم اجتماعياً بطريقة تجعل كل تصرفاته وانعكاساته تتوافق مع النزعة الاجتماعية ولا تتعارض معها وذلك عن طريق إحياء سلطة الضمير لدى هذا الإنسان، التي يعكسها الالتزام الخلقى والسلوكيات المسؤولة، لترتبط برسالة اجتماعية تليق بمكانته كإنسان إذا أنها تساهم في تقدم النوع الإنساني<sup>(3)</sup>.

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص84.

(2) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص74.

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص، ص93- 111.

## ثانياً - توجيه العمل:

يعد العمل من وجهة نظر مالك بن نبي الجانب الثاني من مشكلة الإنسان فهو الذي يخط مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي، وعلى الرغم من أنه ليس عنصراً أساساً كالإنسان والتراب، والزمن إلا أنه يتولد من هذه العناصر<sup>(1)</sup>.

فيقول بأن افتقار الإنسان المسلم للمنطق العملي بسبب خروج عمله عن مقاييس الفعالية شتت جهوده الفكرية والبدنية وجعله يتخبط في مشكلات باعدت بينه وبين خط السير نحو النهضة، ومن ثمة فأن عودته ودخوله للحضارة، يتطلب في الوقت الراهن دخول عمله ضمن مقاييس الفعالية أي التوازن بين عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، بحيث يحدث التوازن عندما تنفي ثقافتنا الإسلامية من الأفكار الميتة والمميتة، أي عندما نحیی الفكرة الأصلية الإسلامية في النفوس ونبعثها فيها من جديد، فالفكرة الأصلية وحدها القادرة على استيعاب كل الجهود في المجتمع مهما كانت بسيطة، وكل الطاقات، والعوامل الإنسانية البسيطة اليد - الفكر - المال، دون انتظار الشروط النفسية، أي الوسائل الميكانيكية، والإطارات الفنية بمعناها الضيق، الذي نجده في قاموس اقتصادي عادي<sup>(2)</sup>، وبواسطة توجيهه يمكن التأليف بين الجهود لتغيير وضع الإنسان وإيجاد بيئة جديدة تتحقق فيها الضمانات اللازمة له في حياته، ولا يقصد بن نبي بتوجيه العمل إقصاء الأفكار التي تقوم على مبدأ العمل من أجل لقمة العيش، بل من أجل أداء الواجب واستخراج الكم الأكبر من الفائدة من وسائل الإنتاج المتوفرة، حيث أن "جوهر المنطق في هذا

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص، ص - 106، 107،

(2) المصدر نفسه، ص112.

العمل الرغبة في البناء والتشييد، والإدارة، وهذا المنطق غاب عن بلادنا لأنه يعتمد على العقل التطبيقي لا العقل المجرد"<sup>(1)</sup>.

وهنا وحسب ما تري الباحثة من تحليل أفكار بن نبي حول فكرة توجيه العمل من أن بن نبي يريد القول من أن العمل ليس عنصراً أساسياً في تكوين النهضة، والحضارة، ولكنه متولد منها، وهو وحده الذي يخط مصير الأشياء في الاطار الاجتماعي، وفي المجتمع الناشئ ينظر إلى العمل من الناحية التربوية، لا من الناحية الكمية، فليس في المجتمعات الناشئة شيء اسمه أجر لأن العامل لا علاقة له بصاحب العمل، ولكن بجماعة يشاطرها يؤسها ونعيمها، وهذا التوجيه المنهجي للعمل هو شرط عام أولاً ثم وسيلة خاصة تكسب الحياة بعد ذلك لأنه كلما تقدم التوجيه المثلث - توجيه الثقافة - توجيه العمل - توجيه رأس المال - للإنسان المسلم تغير وجه الحياة حتماً فيكتمل ويحتل أرفع مستوى<sup>(2)</sup>.

#### ثالثاً- توجيه رأس المال :

يبرز أثر رأس المال باعتباره آلة اجتماعية ينهض بالتقدم، وليس المقصود به الثروة، إذ إن ثمة فرق بينهما فرأس المال هو في جوهره المال المتحرك الذي يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيط أكبر من محيط الفرد، وأقصى من المقدار الذي تحدده حاجاته الخاصة، فهو بذلك محدد من الناحية الكيفية لا الكمية أي أن العبرة بحركته لا بكميته ، وهنا تحدث مالك عن رأس المال فقال إن هذا الأخير لم يكن هو المشكلة التي تعرض لها كارل ماركس، وإنما كان تعرضه لنتائجه الاجتماعية من خلال تركيز رؤوس الأموال، وظهور طبقة البروليتاريا العاملة، أما

---

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص198، وللمزيد الاطلاع انظر: سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، المؤسسة الجامعية للنشر والدراسات والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993، ص81.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص108.

البلاد الإسلامية في ذلك الوقت فلم تكن تواجه مشكلة الرأسمالية لأن رأس المال لم يتكون بعد، وعليه فالقضية في البلاد الإسلامية ذات طابع يختلف تمام الاختلاف عن صورتها في أوروبا، ومن هنا كان حتما دراسة وتحديد مشكلة رأس المال ذاته من زاوية أخرى بوصفه آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي، لا آلة سياسية في يد الرأسمالية، أي أن تحديد الثروة في البلاد الإسلامية من وجهتين: بالنسبة للمركز الاجتماعي لصاحبها من جهة، ولاستعمال صاحبها لها من جهة أخرى (1).

ومن هنا تبرز أهمية توجيه رأس المال، لتحريك كل قطعة من المال مهما قلت لتؤدي وظيفتها الاجتماعية في تحريك الفكر، والعمل في الحياة مع مراعاة المنهجية في التخطيط لحركة المال، بحيث يستفيد منه المجتمع كله، ولا تنحصر الفائدة في فئة قليلة (2).

وحدد الإسلام النظم والعبادات التي تكفل حركة المال في المجتمع في إطار رضوان الله، وابتغاء وجهه حيث أن تحريك المال وعموم فائدته هدف سام، ومن أبرز تلك العبادات التي حددها الزكاة، والتي تأتي في المرتبة الثالثة من أركان الإسلام وإضافة إلى أن الزكاة ذات فائدة بسدها حاجة طائفة الفقراء في المجتمع، فإنها من جانب آخر تدفع إلى تحريك المال حيث أن عدم حركته تؤدي إلى انتهائه وبذلك يتحقق هدفان ساميان، أولهما تحقيق التكافل الاجتماعي.

وثانيهما انتعاش الاقتصاد بتحريك المال، وما ينتج عنه من زيادة في فرص العمل، وما يعود بالنفع على المجتمع، إضافة إلى تطهير الأموال وزيادة البركة من اخراج

---

(1) سليمان ملوكي، النظرية الاقتصادية عند مالك بن نبي، من خلال ثلاثية، توجيه رأس المال، توجيه العمل وتوجيه الوقت، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة المسيلة الجزائر، المجلد 6، العدد 10، 2013، ص 139.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 109، ص 113.

الزكاة، فقال تعالى ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (1).

وكما يرى مالك أن القضية الجوهرية ليست في تكديس الثروة، بل في تحريك المال وتنشيطه، بتوجيه أموال الأمة القليلة وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد ، مؤكداً في الوقت نفسه إن القضية قضية منهاج يحدد لنا تخطيطاً مناسباً تبنى عليه حياتنا الاقتصادية، ولا يكون فيه مكان لتركيز رؤوس الأموال في أيدي فئة قليلة تستغل السواد الأكبر من الشعب بل يجب أن يتوفر فيه إسهام الشعب مهما كان فقيراً، بذلك يتم التعادل بين طبقات المجتمع وتنسجم مصلحة الجماعة مع مصلحة الفرد، وهنا يقول "وبهذا التوجيه الذي يسير متطافراً مع توجيه الثقافة وتوجيه العمل - يكون الفرد قد استعمل الشروط اللازمة لتشديد حضارة تطابق إطاره الخاص" (2).

وهنا يمكننا القول من أن مالك بن نبي فصل بين الثروة ورأس المال، حيث اعتبر أن الثروة هي ملك الفرد مثل عقاراته ومسكنه وأملاكه، التي لا ينتفع بها المجتمع، أما رأس المال فهو المال الذي ينمو ويتحرك ويساهم في البناء والتشغيل ، وهذا ما جعله ينادي بضرورة إنشاء مجلس التوجيه والثروة وتحويلها إلى رأس المال يوجه لخدمة الأهداف الاقتصادية (3).

---

(1) سورة الحشر، الآية 7.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 124.

(3) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص ، 112، 113.

## العنصر الثاني: التراب:

من وجهة نظر مالك بن نبي أن الإنسان وحده لا يستطيع أن يخلق تطور، فالتراب أيضا يساهم في التقدم، وعليه فإن ارتفاع قيمة الأمة وحضارتها يكون سبيلاً لتقدم ترابها، وارتفاع قيمته، وحينما تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدر من الانحطاط، فهو يري أن عنصر التراب شرط من شروط النهضة، فتحدث عنه من حيث قيمته الاجتماعية مؤكداً أن هذه القيمة مستمدة من قيمة مالكيه، "ومن التراب كل شيء على الأرض وفي باطنها ومعنى التراب هنا ليس المعنى المتبادر إلى الذهن فقد تعمدت أن لا استخدم كلمة مادة للأسباب فقلت "التراب" لأن التراب يتصل به الإنسان وحيويته ويتصل به بصورة الملكية أي من حيث تشرع الملكية في المجتمع الذي حقق للفرد الضمانات الاجتماعية"<sup>(1)</sup>.

فنجده يقول " فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحين تكون الأمة متخلفة، كما الأمة الإسلامية الآن سيكون التراب على قدرها من الانحطاط"<sup>(2)</sup>، وهكذا فهو لم يضع هذا العنصر بقصد دراسة خصائص التراب وطبيعته بل من خلال قيمته الاجتماعية فيضرب مثلاً من الجزائر، حيث موت الأرض الخضراء، وانتشار الصحارى، وعدم فعالية الإنسان في مواجهتها، وفي هذا الصدد يورد القول "ومهما يكن من بدائية وسائلنا فإن علينا أن نعمل، فالعمل لازم لزوم دراسة طبيعة الأرض، والمناخ، فإننا لن نستطيع أن ننقذ ذريتنا من الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق، وعندما تتحقق تلك المعجزة بانتصارنا على أنفسنا، وعلى أهوال الطبيعة فإننا سوف نرى أية رسالة في التاريخ نحن منتدبون إليها، لأننا نكون قد شرعنا في بناء حياة جديدة ابتدأت بالجهود الجماعية بدل الجهود الفردية، ولسوف تظهر أمامنا بعد ذلك أعمال جليلة خطيرة، ولكنها سوف لن

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 140 - 143.

(2) المصدر نفسه، ص 139.

تخيفنا، لأننا شعباً أخضع التراب، ومهد فيه لحضارته، ولم يعد شعباً يخاف نوابغ الزمن" (1).

وكما يؤكد على أن الأجيال القادمة هي من ستدفع ثمن عملنا اليوم، وإن إخضاع التراب هو تمهيد للحضارات واستمرار لنموها.

كما أشار مالك بن نبي بأن التراب يستمد قيمته من الإنسان المتحضر أو المتخلف فالإباني استطاع أن يتحدى الأرض رغم ضعف تربتها، وصعوبة طبيعتها، التي لم تقف عائقاً في وجه تطوره وتقدمه ذلك لوجود أفكار تشحنه بالطاقة لمواصلة بناءه الحضاري (2).

إذا فالتراب له أهمية اجتماعية عند الأمة، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة يكون التراب غالي القيمة، والعكس هو الصحيح، كما أنه يدفع بالإنسان إلى العمل والاستفادة من هذا العنصر المهم للحضارة (3).

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة ، مصدر سابق، ص135، ص136.

(2) موسى محرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص32.

(3) زريمق مولود أبو طلاق ، المشروع الحضاري عند مالك بن نبي ، مجلة كلية الآداب ، العدد 28، السنة 2016 ، جامعة الزاوية ، ص 143.



### العنصر الثالث: الزمن (الوقت) :

أما عنصر الوقت والذي عده مالك بن نبي الشرط الثالث للنهضة، فهو نوع يمثل أي زمن تجرى فيه الأحداث الإنسانية، ويتحرك فيه المجتمع داخل التاريخ، وتتكون في مجاله الحضارة، فهو يقر بضرورة تكيف الزمن وتحويله إلى زمن اجتماعي بإدماجه ضمن العمليات الصناعية والاقتصادية والثقافية باعتباره ركيزة تقوم عليها سائر اطردات هذه العمليات<sup>(1)</sup>.

وفي تعريفه للزمن قال " الزمن نهر يعبر العالم يمر خلال المدن يغدي نشاطها أو يدلل نموها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء ولكنه فهو صامت حتى إننا ننسأه أحياناً وننسى أن الحضارات في ساعات الغفلة تسقط"<sup>(2)</sup>.

وهنا يتضح كما تؤكد الباحثة من أن الزمن عند مالك يدخل في الحضارة ومنتجاتها بما في ذلك الإنسان بصفته أحد منتجاتها عكس ما ظنه أحد الباحثين بأن بن نبي يقصد بالزمن عمر الفرد<sup>(3)</sup>.

أي أن الزمن أكثر شمولاً، وكما قال في موضع آخر "إن وقتنا الزاحف صوب التاريخ لا يجب أن يضيع هباء، كما يهرب الماء من ساقية خربة ولا شك أن التربية هي الوسيلة الضرورية التي تعلم الشعب الإسلامي تماماً قيمة هذا الأمر حيث عد التربية وسيلة لمعرفة قيمة الوقت ، والحل الوحيد لتعليم الفرد قيمة الزمن وكيفية ضبطه بما يخدم مصلحته .

وحيثما لا يكون الوقت من أجل الإثراء أو تحصيل النعم الفانية، أي حينما يكون لازماً للمحافظة على البقاء أو لتحقيق الخلود والانتصار على الأخطار، ويسمع الناس فجأة صوت الساعات الهاربة ويدركون قيمتها التي لا تعوض، ففي هذه

(1) مالك بن نبي، آفاق جزائرية، مصدر سابق، ص60.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة ، مصدر سابق، ص90.

(3) محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، مرجع سابق، ص71.

الساعات لا تهتم الناس الثروة أو السعادة أو الألم، وإنما الساعات نفسها، فيتحدثون حينئذ عن ساعات العمل، أي العملة الوحيدة المطلقة التي لا تبطل، ولا تسترد إذا ضاعت، فالعملة الذهبية يمكن أن تضيع، وإن جدها المرء بعد ضياعها، ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة، ولا أن تستعيدها إذا مضت<sup>(1)</sup>.

ففي ساعات الخطر في التاريخ تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء إذا استيقظت، ففي هذه الساعات التي تحدث فيها انتفاضات الشعوب لا يقوم الوقت بالمال، كما ينتفي عنده معنى العدم، إنه يصبح جوهر الحياة الذي لا يقدر<sup>(2)</sup>، فالزمن يندمج داخل سائر الاطراد العلمي والفني، الواقع بين اكتشاف الظاهرة الكهربائية، حوالى نهاية القرن الثامن عشر، وبين تطبيقها في ميدان الإنارة حوالى منتصف القرن التاسع عشر، ذلك أن الزمن يمثل الركيزة التي يقوم عليها هذا الاطراد<sup>(3)</sup>.

فإن الزمن نهر قديم يعبر العالم، ويروى في أربع وعشرين ساعة الرقعة التي يعيش فيها كل شعب والحقل الذي تعمل به ولكن هذه الساعات التي تصبح تاريخياً هنا وهناك، قد تصير عدماً إذا مرت فوق رؤوس لا تسمع خريرها، فإذا قسنا الزمن بمقياس الساعات التائهة، فالقرن لا يساوي شيئاً، بل حتى ألف سنة لا تساوي شيئاً.

وبتحديد فكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والانتاج، وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا، هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد، هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة والنشاط في تكوين المعاني والأشياء، فالحياة والتاريخ الخاضعين للتوقيت كان وما يزال يفوتنا قطارهما، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق، وخطوات واسعة لكي

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 140.

(2) جيلاني ابوبكر، مرجع سابق، ص 40.

(3) محمد عبدالسلام الجفائري، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م،

د.ت، ص 125.

نعوض تأخرنا، ويتم هذا بتحديد المنطقة التي تروبوها ساعات معينة من الساعات الأربع والعشرين التي تمر على أرضنا يومياً<sup>(1)</sup>.

ومن هنا نرى أن مالك بن نبي أراد من خلال هذا العنصر أن تعود الأمة عملياً لإدراك قيمة الوقت وكيفية استغلاله، فالوقت يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد، ولكنه في مجال ما يصير ثروة، وفي مجال آخر يتحول عدماً، فالعالم الإسلامي يعرف شيئاً يسمى الوقت الذي ينتهي إلى العدم لعدم إدراك معنى الوقت، ومعنى الزمن، لأن إدراك معنى الزمن يحدد معنى التأثير والإنتاج إذا دخل في تكوين الفكرة والنشاط، وذلك إذا حاول كل فرد منا تخصيص نصف ساعة يومياً لأداء واجب معين، فإذا خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة، وفعالة فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل لمصلحة النهضة الإسلامية في جميع أشكالها العقلية والخلقية، والفنية والاقتصادية ويثبت نصف الساعة هنا عملياً فكرة الزمن في العقل الإسلامي أي في أسلوب الحياة في المجتمع، وفي سلوك أفرادها فإذا استغل الوقت هكذا فلم يضع سدى ولم يمر كسولاً في حقلنا، فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي وبذلك تتحقق النهضة المطلوبة<sup>(2)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 141.

(2) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، الجزائر، 1992م، ص 69-70.

## ثانياً: عناصر الثقافة:

بالنسبة للثقافة فإن مالك بن نبي يرى أو ينظر إليها عند صياغته لتعريفها من خلال سلوك الفرد، وأسلوب الحياة في المجتمع والعلاقة المتبادلة بين هذه العناصر التي تحدد سلوك الفرد بأسلوب حياة المجتمع، وأسلوب حياة المجتمع بسلوك الفرد، ويرى أن الثقافة ذات علاقة وظيفية بعملية الإصلاح الاجتماعي، فمن خلال قراءاته في التراث الإسلامي والغربي زد على ذلك ما تلقاه في المجتمعات التي عاش فيها كالمجتمع الجزائري والفرنسي، نراه يتوصل إلى أن الثقافة تركز على أربعة عناصر رئيسية هي:

1- **المبدأ الأخلاقي:** يعد هذا من أهم العناصر لانبثاقه من العامل الديني، الذي يجمع بين أفراد المجتمع في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تعبر عن شبكة الصلات الثقافية للمجتمع حيث أن فكرة الدين والعقيدة هي التي تقوم ببناء عالم الأشخاص، فالشرط الأول لتحقيق مشروع ثقافة، هو الصلة بين الأشخاص أولاً، فأساس كل ثقافة تركيب وتأليف لعالم الأشخاص، وعلى اعتبار أن الميل عزيبي، وفطري عند الفرد للجماعة، والتي تعد الأصل في تكوين القبيلة والعشيرة والمدينة، والأمة، نجدها من أهم الأمور التي تألف عالم الأشخاص، حيث أن المجتمعات البدائية استعملت هذا الأمر في إقامة كيانها(1).

والشرط الثاني والمتمثل في الروح الأخلاقية، والتي تتشكل لدى الجماعات انطلاقاً من الدين السماوي، الذي يهذب تلك الجماعات ويحدد اتجاهها بما يتفق ومبادئه الدينية(2)، حيث أن المبدأ الأخلاقي يستند إلى الدين ويتخذ منه الدوافع والغايات فيعد الدين ضرورياً لتحديد ثقافة ما، إذ الثقافة لا يمكن أن توجد أسلوب

(1) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص - ص، 61 - 76.

(2) مالك بن نبي، آفاق جزائرية، مصدر سابق، ص 107، 108.

الحياة في المجتمع إلا إذا كانت متضمنة لعنصر يربط الأفراد بأسلوب حياتها، بحيث لا يشذ عنه الأفراد، وهذا العنصر الحاكم لأسلوب حياة المجتمع، وسلوك أفراد، إنما يكمن في المبدأ الأخلاقي الذي يحدد سلوك الأفراد، كما انه يحقق ارتباط الأفراد بأسلوب حياة المجتمع(1).

ويمكن القول أن تأثير المبدأ الأخلاقي يعد معياراً لفاعلية المجتمع والأفراد، حيث أن الفاعلية تزيد أو تنقص بقدر ما يزيد تأثير المبدأ الأخلاقي أو ينقص ذلك لأن المواقف إزاء المشكلات محددة بالارتباط بالمبدأ الأخلاقي فهو الشرط الأساسي لأفعال المجتمعات والمنظم لعلاقات الأشخاص، فيعد الأساس الذي لا بديل له للقيام بذلك فبزواله لا يمكن أن يتصور وجود عالم الأشياء أو عالم الأفكار(2).

وللتدليل على ذلك حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - في بناء المجتمع الإسلامي، على ترسيخ مبدأ المؤاخاة، والتأليف بين المهاجرين والانصار، وهو ما شكل مجتمع تاريخي متماسك يهدف إلى بناء حضارة ومن هنا يتضح أن الأخلاق هي أولى المقومات لأي ثقافة، فهي العنصر الأساس الذي بواسطته تتحقق الدوافع في الواقع، وذلك هو روح الفاعلية وسرها الذي لا يمكن أن تتحقق من دونه(3).

2 - **الذوق الجمالي**، يقوم الذوق الجمالي بتحديد صورة العلاقات، حيث يطبع الصلات الاجتماعية بطابع خاص، ذلك بأن يضيف على الأشياء الصورة التي تتفق مع الحساسية والذوق العام، من حيث الأشكال والألوان فتستمر الثقافة في تجميل الأشياء وتحسينها(4).

ويشير بن نبي في هذا الموضوع قائلاً " لا يمكن لصورة قبيحة أن توحى بالخيال الجميل، أو الأفكار الكبيرة، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالاً أقبح، والمجتمع

(1) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 144.

(2) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 100، 101.

(3) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 60 ، 60.

(4) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 146.

الذي ينطوي على صورة قبيحة لا بد من أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره وأعماله، ومساعيه<sup>(1)</sup>.

فمن خلال ما ورد يتضح أن مالك نظر من زاويته النفسية والاجتماعية، وليس باعتباره الظاهري فقط، وبهذا يتفق مع الكثير من الفلاسفة الذين درسوا تأثير الجمال في الروح الاجتماعية كالإمام الغزالي، وكما اعتبر بن نبي أن عنصر الجمال له دوراً بارزاً في نفسية الفرد ذلك لأنه يبعث فيه روح العمل والتقاؤل بالمستقبل أي أن هذه الصورة تؤثر في الفكر والسلوك معاً، فعد هذا العنصر من أهم العناصر الديناميكية.

وعن نفس الموضوع كتب مالك بن نبي قائلاً " الأفكار هي المنوال الذي تتسج عليه الأعمال، وهي تتولد من الصور المحسنة الموجودة في الاطار الاجتماعي، والتي تنعكس في نفس من يعيش فيه، وهنا تتضح صوراً معنوية يصدر عنها تفكيره، فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال، يوحي للإنسان بأفكاره ويطبّعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل أو السماحة المستهجنة، فبالذوق الجميل الذي ينطبع في فكر الفرد يجد الإنسان في نفسه نوزعا إلى الاحسان في العمل، وتوخياً للكريم من العادات " (2).

ومن هنا يتضح ابتداء مفهوم الجمال لدى مالك بن نبي، حيث شمل كل ما يمس النفس أو المجتمع حيث يقول "والواقع أن أزهد الأعمال في نظرنا له صلة كبرى بالجمال، فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته، التي تنطق بالجمال، أو تضج بالقبح، ونحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الإنسان، وفي عمله، وفي السياسة التي يرسمها لنفسه، بل حتى في الحقيبة التي يحمل فيها ملابس سفره، فالإطار الحضاري بكل محتوياته، متصل بذوق الجمال، بل أن الجمال هو

(1) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 78، 79.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 97-98.

الاطار الذي تتكون فيه أي حضارة"<sup>(1)</sup>، وهنا ساق مثلاً قال فيه " لما تولى مصطفى كمال اتاتورك الحكم في تركيا كانت كافة جهوده تسعى إلى مسخ هوية الشعب التركي، وإبعاده عن دينه، وأول ما ركز عليه، هو تغيير اللباس الخارجي للشعب التركي من أجل تغيير الأنفس والقيم وأفكار المجتمع"<sup>(2)</sup>.

وفي جانب آخر اشار إلى أن المزج بين عنصر المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي يضمن على الفرد دوافع إيجابية من شأنها أن تعدل بعض الدوافع السلبية، فالذوق الجمالي ضرورة للعمل من حيث صورته، كما أن الأخلاق ضرورية له من حيث دوافعه وغاياته، وبهذا يحقق الذوق الجمالي جزءاً من فعالية العمل.

### 3 - المنطق العملي:

يقصد بالمنطق العملي الفاعلية الفردية أو الجماعية في العمل والإنتاج، وذلك باستغلال الوسائل المتاحة، فهو استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة وهذا العنصر يكون أحد عناصر الثقافة الجوهرية الذي يربط العمل بوسائله، قصد استثمار الوقت والجهد بأقصى قدر ممكن فيرى مالك أن كيفية ربط العمل بوسائله، ومقاصده، وذلك حتى لا تستهل أو تستصعب شيئاً من دون مقياس يستمد معاييره من الوسط الاجتماعي، وما يشتمل من امكانيات .

فالمنطق العلمي يختص بجانب النشاط والحركة في المجتمع، وافتقاده من نشاط المجتمع يؤدي إلى فقدان ذلك النشاط لفاعليته واضطرابه وهذه الفاعلية تتبع من العقل التطبيقي، الذي يتكون من الإدارة والانتباه عقلاً تطبيقاً وليس عقلاً نظرياً مجرداً<sup>(3)</sup>.

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص82.

(2) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 148 - 150.

(3) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق ، ص87.

حيث يشير بن نبي إلى ضرورة إدخال هذا العنصر ضمن الاطار التربوي باعتباره عنصراً جوهرياً من عناصر الثقافة وهو أكثر ما ينقص المسلم وبهذا يبني المجتمع عالم أشيائه ليكتمل عالمه الثقافي<sup>(1)</sup>.

فيذكر مالك أن العالم الإسلامي اليوم لا يعيش وفق المبادئ القرآنية وإنما يتكلم عنها فقط، لذلك ساد العبث والتبديد الزمني والمالي وكثرة الكلام، والاسراف في الوعظ والخطب، دون فائدة وكثرة الدروس والمواعظ دون الامتثال بها<sup>(2)</sup>، فكل هذا يؤكد أن منطق الفكرة موجود، ولكن ينقصنا منطق العمل والحركة والتطبيق الذي يعد عنصراً مهماً من عناصر الثقافة.

#### 4 - الصناعة:

ليس المقصود بالصناعة هو ما يُراد بالمصطلح حينما يطلق بمفهومه الضيق حيث قصد مالك بن نبي بهذا المصطلح كل عمل انتاجي، حتى لو كان رعيّاً أو زراعة، أو تعليماً أو كتابة فالمقصود تناول المفهوم بشكل واسع، فتدخل فيه كل الفنون والمهن والقدرات وتصنيفات العلوم والصناعة بهذا المعنى الشامل عنصراً أساسياً في بناء الثقافة في جانبها المادي.

فيختص هذا العنصر بتقديم الأصول النظرية والوسائل المادية لإنجاز الأعمال فأسلوب حياة المجتمع وفاعليته يعتمدان في جانب كبير على عالم الأشياء الذي هو نتيجة عوامل فنية صناعية مختلفة فالعنصر الفني يدخل معه ضمناً عالم الأشياء ذلك بأنه من دون الأشياء لن يتحقق الإنجاز، كما أن افتقاد العنصر الفني

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 102.

(2) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 85.



سيؤدي إلى استحالة العمل أو صعوبته، فالأمران متلازمان تلازماً تاماً وهما ضروريان لإنجاز العمل وفاعليته<sup>(1)</sup>.

ومن هنا يبرز ضرورة التوجيه التربوي للقدرات، والمهن والتكنولوجيا وضمن هذا المنطق نجد أن مالك يلح على العنصر المهم من عناصر التوجيه الثقافي، لأنه وفي حديثه عن الصناعة والتي قال وكما أشرنا أنها تشمل كل الفنون والمهن والقدرات، والتي ينبغي أن يتوفر عليها المجتمع ليحافظ على كيانه ونموه، وهذا العنصر الذي يعطي لنا التحرر الاقتصادي ويجنبنا التبعية السياسية والثقافية<sup>(2)</sup>.

وبهذا العنصر الرابع والأخير تكمل الثقافة التي تحوي مبدأ الأخلاق والجمال ومنطق العمل والصناعة التقنية والتي نظر إليها بن نبي على أنها من العناصر التي لا يمكن أن يضاف إليها أو ينقص منها حيث قال "وهكذا يتم تجديد الثقافة بطريقة لا ينبغي لنا فيها أن تفكر في عنصر آخر، فالمبادئ التي قررناها، كفيلة بجميع شروط الفعالية، التي هي الشيء الذي نريده من وراء كلمه ثقافة" ، وأضاف علينا أن نقول " أن الثقافة تشتمل على فصول أربعة، فصل الأخلاق، وفصل الجمال، وفصل منطق العمل، وفصل علم"<sup>(3)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 147.

(2) مالك بن نبي، آفاق جزائرية، مصدر سابق، ص 114.

(3) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق ، ص 148.

## المبحث الثالث

### مشكلة التخلف عند مالك بن نبي

#### مفهوم التخلف:

يعرف التخلف\* بأنه ظاهرة تصيب النمو في بعض المجتمعات وتعنى بطء الحركة في تحقيق النمو الذاتي لها، ليس في اللحاق بغيرها، ولكنها نتجت أصلاً من تأثيرات تفاعلية خارجية وليست متأصلة في كيان المجتمع بيولوجياً أو وراثياً، وتتجسد تلك الظاهرة بأوضح ما يكون في سوء استخدام واستغلال الطاقات المادية والمعنوية الموجودة في المجتمع، وكذلك خلل في استقرار المجتمع وقد أطلق على المجتمعات التي حدث فيها ذلك الدول المتأخرة، أي الدول التي لم تبلغ مستوى مرتفعاً من الرقي والتقدم الفني والاقتصادي، والاجتماعي، والتكنولوجي ويرتبط بذلك شيوع الفقر والجهل والمرض بنسبة كبيرة<sup>(1)</sup>.

وكما أن إشكالية مفهوم التخلف إشكالية مزدوجة تتعلق من جهة بمظاهر التخلف وتجلياته ومن جهة أخرى بالأسباب التي جعلت هذه المظاهر ممكنة وموجودة ومستمرة سواء بالمعنى النسبي، التخلف بالقياس والمقارنة مع البلدان المنظورة، أو بالمعنى المطلق التخلف باعتباره ظاهرة مرفوضة بحد ذاتها، وبغض النظر عن وجود أو عدم وجود البلدان المتطورة .

---

\* التخلف لغة : يعنى القعود أو العجز عن مسايرة الركب، والتخلف مصدر تخلف عن الشيء ويتخلف، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ف) التي تدل على الخلف الذي هو خلاف قدام، أي التأخر الذي هو نقيض التقدم فيقال خلفت فلاناً ورائي فتخلف عني، أي تأخر، وخلف عن أصحابه تخلف عنهم، والتخلف: التأخر. أما **التخلف اصطلاحاً** وردت عدة تعريفات لهذا المصطلح، فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول التعريف "التخلف صفة اعتبارية يتصف بها أحد طرفي المعرفة وتطلق الكلمة في عصرنا على الشعوب، والدول غير المصنعة إذا قورنت بالدول والشعوب التي سبقت إلى التصنيع. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة خلف، الجزء 9، ص90. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل سيكولوجيا الإنسان المقهور، ط3، الدار البيضاء، 2001، ص19.

(1) محمود عبد المولى، العالم الثالث ونمو التخلف، ط3، تونس، الدار العربية للكتاب، 1990، ص13.

ويعاش التخلف على المستوى كنمط وجود مميز له دينامية السيكولوجية والعقلية والنوعية، والإنسان المتخلف منذ أن ينشأ تبعاً لبنية اجتماعية معينة، يصبح قوة فاعلة ومؤثرة فيها، فهو من ناحية هذه البيئة ، ويدعم استقرارها ومن ناحية ثانية يقاوم تغييرها نظراً لارتباطها ببنيتها السيكولوجية ، فالعلاقة إذن جدلية بين السبب والمسبب، البنية والنمط الإنساني، الذي ينتج عنها مما يحتم علينا الاهتمام بكليهما عند بحث أحد المجتمعات المختلفة<sup>(1)</sup>.

ومفهوم التخلف يحمل في طياته عدة دلالات تتلخص إما في جهل القدرات المادية والمعنوية التي يمتلكها المجتمع بالشكل الخام، وإما في سوء التصرف وانعدام التنظيم والتخطيط وإما القصور في تصنيف الرصيد المتاح، وخلل في تحديد أولويات استعماله مما يخلق إرباكاً في أية عملية تتصدى لتحريك البنية الاجتماعية، ومن هذه الزاوية، يبدو واضحاً أن التخلف ظاهرة تعبيرية عن حالة مادية، ومعنوية كما أنه مؤشر عن بطء الحركة وحتى على انعدامها في الزمان والمكان<sup>(2)</sup>.

**فما هي طبيعة مشكلة التخلف عند مالك بن نبي ؟.**

أثبتت الدراسات التي قدمها بن نبي والتي تنطلق مما يمكن تسميته بفرضية عامة، سعى للبرهنة عليها من خلال استقراءه للواقع التاريخي، والواقع الاجتماعي المعاش، فهو لم يمل من التأكيد على أن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارة، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها، وقدم مالك بن نبي العديد من التصورات لظاهرة التخلف على اعتباره ظاهرة حديثة أفرزتها

---

(1) السيد الحسيني، التنمية والتخلف، دراسة تاريخية بنائية، ط23، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص5،6.

(2) الطاهر مسعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي، لبنان، 2006، ص161.

الحرب العالمية الثانية حيث اعتبر التخلف ظاهرة اجتماعية يكون عليها الإنسان في مرحلة ما قبل الحضارة<sup>(1)</sup> كما يعبر مفهوم التخلف حسب رأيه على ملامح مشكلة يعانيها الإنسان ترتبط بعدم تعلمه لسبيل استعمال وسائله الأولية المتمثلة في التراب والزمن بشكل فعال، كما لم يدرك تعلمه من هذا الاستعمال، مع العلم أن فعالية الإنسان هي التي تساهم في تجديد بقية العوامل<sup>(2)</sup>.

ويربط مالك بن بني التخلف بالوضع الاجتماعي للشعوب الأفروآسيوية، يمكن البرهنة عليها ببعض الأرقام كمتوسط الدخل الفردي من حيث قيمته الاجتماعية لا المالية أي بما يكفله هذا المتوسط من ضمانات اجتماعية في وطن ما ، والذي لو قمنا بتوزيعه على الخريطة لحدد لنا قارتين: قارة يسر وقارة عسر، فكلمة عسر هي التعبير الأدنى على الواقع الاجتماعي الذي يعبر عنه مصطلح التخلف، وعلى ذلك فالمجتمع المتخلف هو الذي لا يقدم الضمانات الاجتماعية لأفراده ويمكنه أن يقدمها<sup>(3)</sup>.

إضافة إلى ذلك يعبر التخلف عن نقص الوسائل على الصعيد الاقتصادي بجانب سلبي جديد من الوجهة النفسية هو سوء الانتفاع بالوسائل فضلاً عن كون المجتمع المتخلف ليس موسوماً فقط بنقص الوسائل المادية (الأشياء)، وإنما بالافتقار للأفكار ويتجلى بصفة خاصة في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه بقدر متفاوت من الفاعلية وفي عجزه عن إيجاد غيرها<sup>(4)</sup>.

وكما يعتبر مالك بن بني التخلف حالة اجتماعية يكون عليها إنسان ما قبل الحضارة الإنسان الذي يضع مشكلاته في حدود الأشياء، ويراه كذلك بأنه مظهر من مظاهر مشكلة الإنسان الذي لم يتعلم طريقة استعمال وسائله الأولية التي هي التراب والزمن

---

(1) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 61.

(2) مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 70.

(3) الطاهر مسعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 140.

(4) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص 46.

بصورة فعالة أو هو قد نسي ما تعلمه من هذا الاستعمال، وفعالية الإنسان هي التي تحدد بقية العوامل ، والإشكال الحضاري في المجتمع المتخلف هو الإشكال الرئيسي، فالحركة الهادفة لأي مجتمع إنما تريد الوصول إلى الحضارة تلك التي تحقق للإنسان كل الشروط المادية والمعنوية التي تتيح له الحصول على الضمانات الاجتماعية، والرفاه المعيشي عبر مراحل حياته، ولكي يصل إلى هذه الغاية لابد أن يؤلف بين عناصر الحضارة الموجودة في حوزته (الإنسان - التراب - الوقت)<sup>(1)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص62.

## تعقيب

هنا نستطيع القول ان مشكلة الحضارة هي مشكلة العالم العربي والإسلامي الجوهريّة، ولذلك اهتم بن نبي بها وركز جهوده الفكرية والنظرية في سبيل بلورة الرأي، واقتراح الحلول لتجاوز هذه المشكلة الحضارية، ويشير إلى هذه المسألة مالك بن نبي نفسه بقوله " أعتقد أن المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن، هي مشكلة الحضارة وكيفية إيجاد الحلول الواقعية لها، وإزالة التناقض بين النجاح المادي والتخلف المعنوي" .

فلاحظ اتجاه عطاء بن نبي الثقافي والفكري نحو إدخال العالم العربي والإسلامي في دورة حضارية جديدة وإعادة الشعوب العربية والإسلامية إلى حلبة التاريخ.

## **الفصل الثالث**

### **موقف مالك بن نبي من الأيدولوجيات الفكرية السائدة**

المبحث الأول: موقفه من التيارات الفكرية الغربية

المبحث الثاني: موقفه من التيارات الفكرية الإسلامية

## المبحث الأول

### موقفه من الأيديولوجيات الغربية

أولاً - موقفه من الرأسمالية:

الرأسمالية هي ذلك النظام الاقتصادي الذي يقوم على الملكية الفردية لعناصر الإنتاج والحرية الاقتصادية، في إدارة وتسيير وممارسة النشاط الاقتصادي من خلال جهاز الثمن أو قوى السوق<sup>(1)</sup>.

كما يمكن القول أنها نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية تقوم على أساس تنمية الملكية الفردية، والمحافظة عليها متوسعة في مفهوم الحرية، وظهرت الرأسمالية على يد المفكر آدم سميث، الذي وضع أصول المذهب الرأسمالي في كتابه " ثروة الأمم " ، والذي نشر سنة 1776م وفق " مبدأ دعه يعمل دعه يمر " <sup>(2)</sup>.

درس مالك بن نبي مفهوم الرأسمالية من خلال التفريق بين الثروة ورأس المال، حيث أن الثروة عنده هي المكاسب التي يكتسبها الإنسان من خلال العمل، ولكنه يخزنها فتبقى ثابتة ليس لها أي عمل في البناء الصناعي، ولا المجال التجاري لا في التصدير والاستيراد بعكس رأس المال ، أما رأس المال والذي يرى بن نبي أنه المال المتحرك الذي ينشط في مجال الحركة الاقتصادية، حيث يدخل في الصناعة بالتصنيع وفي التجارة من خلال التصدير والاستيراد<sup>(3)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أن مصطلح رأسمالية ليس من المصطلحات الإسلامية ولا علاقة له بمفاهيم الفكر الإسلامي، ولفهم هذا المصطلح لابد من فهم المعنى الحركي العملي له، قبل أن يوجد كمذهب اقتصادي، ويقول بن نبي أن بداية مذهب

---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط2، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1989، ص231.

(2) أشرف محمد درابة، النظام الاقتصادي مدخل ومنهاج، دار السلام ، القاهرة، 2010، ص35.

(3) ملك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص110 ، 111.



الرأسمالية هو تكون رأس المال، والتاريخ سجل تكونه، مع ظهور الصناعات الميكانيكية، من خلال المواد الأولية، والمصانع التي تحولها إلى منتجات وسلع، والأسواق التي تصرف بها السلع جعلت للمال دوراً متسعاً ينتقل من بلد إلى بلد ليقوم شبكة علاقات اقتصادية بين البلدان، وهذا التوسع الاقتصادي وجد في تطوره مفهوماً اجتماعياً سمي بالرأسمالية<sup>(1)</sup>.

أما عن أسس الرأسمالية التي وضعها آدم سميث، والتي يتألف منها كيانها الخاص تتمثل في مبدأ الحرية، والملكية الفردية، والثورة على الكنيسة والاقطاع<sup>(2)</sup>. في حين نجد موقف مالك بن نبي من الرأسمالية والتي رفضها ووجه لها عدة انتقادات، معللاً ذلك بكم النتائج والآثار السلبية التي تترتب عليها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية فمن أهم الانتقادات التي وجهها للرأسمالية:

#### أ- الاستعمار:

يرى مالك أن الدولة الرأسمالية اتجهت إلى الاستعمار وفقاً إلى مبدأ الحرية في الربح، والمنفعة المادية، ذلك بأن النشاطات المختلفة تنمو في المجتمع الصناعي الحديث، في حدود الزمن المادي، وتقوم بساعات عمل<sup>(3)</sup>، وأدى ذلك كله إلى استعباد البشر، وتسخيرهم في خدمة الإنتاج الرأسمالي، التي تجلت في تجارة الرقيق، إضافة إلى اتجاه تلك الدولة إلى احتلال أراضي البشر الأمنيين بالقوة، ومن وجهة نظر مالك بن نبي أن الرأسمالية تحدد علاقاتها مع الآخرين، وفق اعتبارات اقتصادية صرفة تركز على الإنتاج والتوزيع، الخاضعين لمبدأ تحقيق المنفعة المادية للرأسماليين، دون الالتفات إلى احتياجات أفراد المجتمع الخاص بها أو حتى النظر

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 110، 112.

(2) يوسف كمال، الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، ط1، دار الوفاء، القاهرة، ب. ت، ص 30.

(3) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص 16.

إلى حرية الدول الأخرى<sup>(1)</sup>، ولتستحوذ على المواد الأولية والخام تقوم باستعمار الدول الأخرى، وتجعل من تلك الدول سوقاً دائماً لها، وذلك بتحويل المواد الأولية إلى منتجات سلع وبأسعار باهظة، ويحصل الرأسماليون على أرباح كبيرة سواء في عملية الاستيراد أو التصدير، نتيجة المقابل الزهيد للمواد الأولية مقارنة بأسعار السلع المصدرة لتلك البلدان، وهنا يقول مالك بن نبي نشأت عن ظاهرة الاستعمار الكثير من المحن والكوارث والمآسي والمصائب<sup>(2)</sup>.

#### ب- الطبقة:

يقول بن نبي أن الطبقة نتيجة من نتائج الرأسمالية، حيث ظهرت طبقة الرأسماليين وطبقة العمال، في أوروبا إثر الثورة الصناعية، فتركز الأموال في أيدي قلة من الرأسماليين الذين قاموا باستغلال الناس لمصالحهم واضطهادهم مما ينتج عن صراعات داخل المجتمع، فيرى المواطن الحر نفسه عبداً لمصالح كبيرة تتحد ضده<sup>(3)</sup>، وتعطى الرأسمالية بعض الضمانات للفرد، والتي تكون على حساب الحريات السياسية.

#### ج- الربا:

ارتبط النظام الرأسمالي بسعر الفائدة أو الربا ارتباطاً عضوياً واعتبر آلية سعر الفائدة هي قوام سوق المال بسوقيه، سوق النقد، وسوق رأس المال، وبدأ الربا في الرأسمالية عندما بدأ استثمار المال كوسيلة وحيدة لدفع عجلة الاقتصاد فلجأت الرأسمالية إلى تجميع الأموال وتركيزها في مؤسسات معينة، وعلى رأسها البنوك، لتقوم بتوزيعها وتوظيفها في القطاعات الإنتاجية المختلفة، على أساس الربا في عمليتي التجميع والتوزيع حيث أن الهدف من ذلك هو تحقيق أكبر قدر من الربح المادي، بأقل

(1) مالك بن نبي، فكرة كومونيلث إسلامي، تر: الطيب برغوث، ط 1، دار الفكر، دمشق 2000 م، ص 88.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 111.

(3) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 38.

خسارة وجهد<sup>(1)</sup>، وبذلك تظهر سلطة المال، ويعد الدرهم والدينار ذا سلطة على المفاهيم والمعاملات بين الناس<sup>(2)</sup>.

أشار مالك بن نبي إلى موقف الإسلام من الربا في كتابه تأملات فقال: " الإسلام واضح بالنسبة لتحريم الربا، وكل ما يتعلق به من وسائل تهدف إلى تنمية المال بهذه الطريقة، فكل معاملة تقوم على أساس الربا محرمة، والرأسمالية مؤسسة على التعامل الربوي في المجال الاقتصادي فكل تجاراتها، ومعاملاتها المالية، والنقدية تقوم على هذا الأساس، ويتركز الاقتصاد الرأسمالي في التعاملات البنكية عليه، مما يجعل المال يحقق لطبقة أو لأفراد معينين السلطة المطلقة في المجال الاقتصادي، فالربا يحقق الاحتكار في التجارة والصناعة، بواسطة البنك الذي يتركز فيه رأس المال وأضاف أن الإسلام ليس فيه مجال لتركز المال في أيدي قليلة بل يسعى إلى تجزئة المال عن طريق توزيع الميراث، وتحريم الربا وإخراج الزكاة والصدقة، وليس للفرد سلطة مطلقة على النقد في الإسلام، بل حركة النقد مقيدة بالشرع وملتزمة بالمقياس القيمي<sup>(3)</sup>.

#### د - الاحتكار:

تتمثل مشكلة النظام الرأسمالي في غياب المنافسة الكاملة، وتدهور معدلات الأجور الحقيقية، وقصور الطاقة الشرائية، فالاحتكار الذي نرى وترعرع في النظام الرأسمالي يتيح للمشروع الكبير إزاحة من هو أقل منه في السوق ، بما يملكه من احتكار التقنية، ومقدرة على تخفيض سعر السلعة لفترة معينة دون معاناة، وتمكن من

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 42.

(2) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 86.

(3) المصدر نفسه، ص 85.

السيطرة الكاملة على السوق ويفرض شروطه، ويرفع سعر منتجاته ويستغل المستهلكين<sup>(1)</sup>.

ومن وجهة نظر مالك بن نبي أن معنى الاحتكار يدخل في ما تقوم به الرأسمالية من عملية تقليل الإنتاج من أجل تحقيق الندرة في السوق، ما ينتج عنه من غلاء السلعة المقصودة في السوق لتحقيق أكبر ربح مادي للرأسمالي، بغض النظر عن حاجة المستهلك لهذه السلعة<sup>(2)</sup>، فالرأسمالية مذهب احتكاري قائم على أساس المنفعة<sup>(3)</sup>.

أوضح مالك موقفه من الاحتكار بالإشارة إلى موقف الإسلام منه حيث أن الإسلام يقاوم كل أنواع الاحتكار، عكس الرأسمالية التي تعمل على تقليل الإنتاج من أجل رفع أسعار السلع، أو تخزين السلع لرفع سعرها، فيحارب كل احتكار يؤدي لارتفاع السلعة، ولهذا أثره في التعامل الإسلامي، حتى لا تستعبد الأوضاع الاقتصادية الإنسان المسلم أو يصبح هذا طاغياً يبحث عن الربح المادي فقط دون النظر إلى المقياس الشرعي في تعامله الاقتصادي<sup>(4)</sup>.

فالانحرافات الإباحية التي تطورت في الدول الرأسمالية كانت ناجمة على أسس هذا المذهب، فمذهب الحرية الفردية بوصفه قاعدة لدفع الحركية الاقتصادية فتح المجال أمام المال والرأسمالية، فكانت هذه المبادئ على حساب المصالح العامة للمجتمع وهذا ما مس المنتجين والمستهلكين على الخصوص، ولم يسلم الجانب السياسي والثقافي على حد سواء، فمبدأ "دعه يعمل دعه يمر" هو الأساس الذي

---

(1) أشرف محمد درابة، النظام الاقتصادي مدخل ومنهاج، مرجع سابق، ص 43.

(2) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 84.

(3) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص 23.

(4) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 117.

قامت عليه سلوكيات الأفراد وما يعرف بالحرية الفردية، وكما أهملت الرأسمالية الترابط بين القيم الاقتصادية والقيم الأخلاقية<sup>(1)</sup>.

وفي هذا المقام يوضح مالك بن نبي أن الرأسمالية سوف تسقط في يوم من الأيام، ذلك بأن الرأسمالية، لا تنظر إلا للمنفعة المادية فقط، ولقد مات معنى الفضيلة المطلقة يوم وجد بعض الناس في أنفسهم جرأة ليؤكد أن التجارة هي السرقة، وقتلت عدد كبير من المفاهيم الأخلاقية<sup>(2)</sup>، فأصبحت الرأسمالية أخطبوط يضاعف بصورة هائلة شهوة الإنسان إلى المادة فليس للفترة الإنسانية دخل في الحياة الجديدة<sup>(3)</sup>.

### ثانياً- موقفه من الشيوعية:

الشيوعية نظام سياسي واقتصادي، ومذهب فلسفي إلهادي وضعه كارل ماركس، وفريدريك انجلز، وتقوم النظرية الشيوعية والتي عرفت كذلك بالنظرية الماركسية على بعض الأسس كالمادية الجدلية والمادية التاريخية، وهي ترى أن الكون والإنسان والحياة مادة فقط، وأن المادة هي أصل وأساس الأشياء ومن تطورها صار وجود الأشياء، ولا يوجد وراء المادة شيء مطلقاً، وأن هذه المادة أزلية، قديمة لم يوجد لها أحد، وتفسر التاريخ تفسيراً مادياً، بحيث ترجعه إلى العوامل الاقتصادية والصراع الطبقي<sup>(4)</sup>.

وارتكزت النظرية الشيوعية على العديد من الأسس كالمادية الديالكتيكية، على اعتبار أن كل شيء في العالم مادي، وتعنى المادة هنا أنها واقع موضوعي أي خارجي، يحمل مغزى مادي عميق باعتبار المادة هي الأول، وهي غير مخلوقة، ولن تزول، بل هي السبب الداخلي النهائي لكل موجود، فهي السبب الأول، والأساس

(1) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص 87.

(2) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 117.

(3) المصدر نفسه ، ص 118.

(4) إ.إم بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت القرني، عالم المعرفة، 1992، ص 165.

الأول لكل شيء، أما الديالكتيك فيعتبر هو الأصل الذي انبثقت عنه المشاعر والتصورات والأفكار والحقائق بما في ذلك الوعي أو الفكر أو الروح ، قامت هذه على ثلاثة قوانين أولها وحدة الأضداد والصراع بينها، ثم تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية، وأخرها نفى النفي<sup>(1)</sup>.

أما الأساس الثاني الذي ارتكزت عليه النظرية الشيوعية المادية التاريخية وعرف الشيوعيون المادية التاريخية بأنها الوجود الاجتماعي، والذي يحدد الوعي الاجتماعي، ومعنى الوجود الاجتماعي هو الحياة المادية للمجتمع المتمثل في نشاط الناس الإنتاجي والعلاقات الاقتصادية التي تنشأ بين الناس في عملية الإنتاج. والوعي الاجتماعي هو حياة الناس الفكرية، والأفكار والنظريات والآراء التي يسترشدون بها في نشاطهم العملي، فالمادية التاريخية هي الدور الحاسم لأسلوب الإنتاج في تطور المجتمع، وهو الذي يؤثر في علاقات الإنتاج ومن ثم تحديد التغيير في صورة المجتمعات، أي أن الحياة المادية في المجتمع هي التي تحدد في النهاية هيئة المجتمع وأفكاره وآراءه وأوضاعه السياسية وأسلوب الإنتاج في هذه النظرية يتكون من أدوات الإنتاج ، والناس الذين يستعملونها ومعرفة استخدامها تتولف بمجموعها قوى المجتمع المنتجة، فتؤلف قوى الإنتاج وهو الجانب الأول الذي يعبر عن سلوك الناس نحو أشياء الطبيعة، أما الجانب الآخر فهو علاقة الناس فيما بينهم أثناء سير الإنتاج، فالمبدأ الشيوعي يرى أن الواقع الاجتماعي يؤخذ من أدوات الإنتاج، لأن المجتمع الإقطاعي مثلاً لكون فيه الناس هي أداة الإنتاج، ومنها يؤخذ نظام الإقطاع فإذا تطورت أداة الإنتاج إلى الآلة تطور المجتمع إلى الرأسمالية، وسيأتي يوم تصبح فيه أداة الإنتاج مشتركة فتكون الشيوعية<sup>(2)</sup>.

(1) ناصر القفاري، المؤجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الصميعي للنشر، د. ت، ص90.

(2) جورج بوليزر، أصول الفلسفة الماركسية، ج2، تر: شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ب. ت، ص14.

يعلن أصحاب النظرية الشيوعية أن المادة هي أصل الكون والحياة والإنسان، وإن المادة تخضع للتطور، وأنها لا أول لها ولا آخر، ولا يوجد خالق ولا مخلوق، وإنما المادة تخضع لتطور ذاتي، من هنا جاء موقف مالك بن نبي من هذه القاعدة الفكرية للنظرية الشيوعية حيث هاجم المادية في كتابه الظاهرة القرآنية فقال "من الضروري هنا أن نفرض مبدأ متميزاً عن المادة، فالله خالق ومدبر للكون، وسبب أول ينبثق عنه كل موجود، وهذا هو مبدأ المذهب الجديد، وهذه الحتمية الميتافيزيقية، تسعفنا حين تعجز القوانين الطبيعية عن إعطاء تفسير واضح للظواهر، وبذلك ينتج عنها مذهب كامل مشتق متجانس لا نقص فيه ولا تعارض ما لزم المذهب المادي"<sup>(1)</sup>، وأضاف إلى ذلك بالقول: " نستعين بالحتمية الغيبية التي لا تعارض بينها وبين طبيعة المبدأ فحتمياً يوجد نقص في المذهب السابق يوجد تدخل سبب خاص خالق، عالم بخلقه ومريده وقد نجهل مؤقتاً القانون الذي يسيطر على ظاهرة ما زالت تخفى علينا طريقة حدوثها، ومع ذلك فإن المذهب يظل منسجماً منطقياً مع مبدئه الأساسي، لأن مثل هذه الظاهرة يمكن تسويقها في التحليل النهائي بناء على قيمة مطلقة إرادة الله هي التي تتدخل هنا، فلا يغيب عن نظرنا أن الأمر لا يتعلق هنا بالموازنة بين نوعين من العلم، بل بين عقيدتين عقيدة تؤله المادة، وأخرى ترجع كل شيء إلى الله تعالى"<sup>(2)</sup>.

أما الأساس الثاني لهذه النظرية والمتمثل في المادية التاريخية، والذي يرى أن العامل الاقتصادي هو العنصر الأساسي في عملية التعبير الاجتماعي فكانت وجهة نظر مالك بن نبي أن النظرية الشيوعية قد أغفلت بعض الأشياء الجوهرية في الظاهرة الاجتماعية وقيمة عوامل أخرى إلى جانب العامل الاقتصادي في عملية التعبير فيقول " أن النظرية الشيوعية التي ترد المشكلة الإنسانية كلها إلى العوامل

---

(1) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، مصدر سابق، ص 79.

(2) المصدر نفسه، ص 80.

الاقتصادية، تغفل بعض الأشياء الجوهرية في الظاهرة الاجتماعية أو تغض من شأنها، ولكن هذه النظرية صادقة في الحدود التي يمكن أن تفسر فيها الظاهرة الاجتماعية تفسيراً اقتصادياً<sup>(1)</sup>، وعند مالك بن نبي يعد العمل الأول في طريق التفسير الاجتماعي هو تغير سلوك الفرد، وتحرره من الصفات البدائية والتربية الصادقة تبدأ وتتبعث من اجتماع المسلمين في المسجد، وهذا الاجتماع يحمل في مضمونه كل معاني ميلاد المجتمع، فهو رمزه وتذكاره، وفي هذا يقول " أن العمل الأول في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فرداً إلى أن يصبح شخصاً، وذلك بتغير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزاعات اجتماعية تربطه بالمجتمع، وتطبيق في جانب آخر وليس لدينا على هذا فيما يتعلق بالتعريف الماركسي أنه مقدرة على التفسير، إلا في حدود تعبير النظرية نفسه، التي تظل بالنسبة إلينا وفي حدود هذا التعبير، غير مفهومة وغير قابلة للتطبيق على حين أنها بعكس ذلك تماماً، فهي مفهومة، وصالحة للتطبيق بالنسبة للشيوعي، على ما تؤكد له تجربته اليومية ذاتها، إذ هو يجد في ذهنه العناصر التي تكمل التعريف، وتمنحه فاعليته عند التطبيق في وسطه"<sup>(2)</sup>.

فالشيوعية من وجهة نظر بن نبي مفهومة وقابلة للتطبيق في المجتمع الشيوعي، أما في المجتمع الإسلامي تبقى غير مفهومة، وغير قابلة للتطبيق فيقول " فإذا قال ماركس إن من الممكن تطوير مجتمع معين بالتأثير في ظروفه الاقتصادية، كانت هذه العبارة كاملة في عقله، صادقة في تجربته اليومية، أما بالنسبة لنا فهي عبارة جوفاء، لا تثبت تجربتنا الشخصية أو الاجتماعية منها شيئاً"<sup>(3)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص90.

(2) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص44.

(3) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص53.



### ثالثاً- موقف مالك بن نبي من الحركة القومية:

يمكن تعريف القومية بأنها أيولوجية وحركة اجتماعية سياسية نشأت مع مفهوم الأمة في عصر الثورات الصناعية والليبرالية والبرجوازية في أواخر القرن الثامن عشر.

القومية فكرة وضعية أول ما نشأت في البلاد الأوربية شأن غيرها من الحركات والأفكار التي تبحث عن التنصل من رابطة الدين، وكما أن القومية انتماء جماعة بشرية واحدة لوطن واحد شريطة أن يجمعها تاريخ مشترك ولغة واحدة، في رقعة أرض محددة وتطلق كلمة قومية على العصبية التي تجمع بين أفراد القبيلة في تكتل واحد وقد سمى القرآن الكريم ذلك بالحمية الجاهلية، ففكرة القومية كانت سائدة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام<sup>(1)</sup>.

يقول مالك بن نبي " من المعلوم أن جزيرة العرب مثلاً لم يكن بها قبل نزول القرآن إلا شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة يذهب وقته هباء لا ينتفع به لذلك فقد كانت العوامل الثلاثة الإنسان والتراب والوقت وأكدة خامدة وبعبارة أصح مكدسة لا تؤدي دورها في التاريخ حتى إذا ما تجلت الروح بغار حراء، كما تجلت من قبل بالوادي المقدس ، أو بمياه الأردن نشأت من بين هذه العناصر الثلاثة المكدسة، حضارة جديدة، مثلما ولدتها كلمة ( أقرأء ) التي أدهشت النبي الأمي وأثارت معه وعليه العالم فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ ، حيث ظلت قروناً طوالاً تحمل للعالم حضارة جديدة وتقوده إلى التمدن والرقى " <sup>(2)</sup>.

وحسب ما تري الباحثة من خلال تحليل مالك بن نبي عن واقعية الاحداث السابقة يمكن القول بأنه رأي إن العصبية والحمية الجاهلية جعلت العرب خارج

(1) لويس معلوف، المنجد في اللغة، مجلد 1، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 2010، ص664.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص73.

مسرح التاريخ ، وأن الوحي هو من جعل القبائل العربية تؤسس حضارة إسلامية جديدة وتقود العالم إلى التمدن والرقى والنهضة.

ومن هنا يتبين موقف بن نبي من القومية حيث يرى أن القومية والحمية الجاهلية هي رأس كل خطيئة وأن العصبية للون أو اللغة ، أو الجنس أو التاريخ أو القوم مرفوضة فيستدل على ذلك بما ورد من توجيهات نبوية في حجة الوداع يقول عليه الصلاة والسلام " يا أيها الناس أن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وأدم من تراب".

فمن الناحية المبدئية يرفض مالك القومية والطائفية والعصبية ويرى أن كل قومية تتعارض مع الإسلام والعروبة فهي قومية مرفوضة، فنظر إلى القومية ككارثة تاريخية أصابت العالم الإسلامي فالقومية حولت مجرى التاريخ الإسلامي فأخرجته من جو المدينة الذي كان مشحوناً بهدى الروح وبواعث التقدم<sup>(1)</sup>.

وكما يؤكد من إن الأفكار لا بد أن تكون منسجمة مع الذاكرة التاريخية للأمة الإسلامية ومن ثمة لا يمكن أن نستورد حلولاً جاهزة من الشرق أو الغرب ، لأن ذلك مضيعة للجهد، ومضاعفة للداء، فكل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار، ويظهر له إن استيراد الأفكار والأيدولوجية والقومية تضييع للجهد فأعطى مثلاً واضحاً في التاريخ الإسلامي بواقعة "صفين"، حيث وصفها بكارثة صفين والتي اعتبرها ضرباً من ضروب الفتنة، والطائفية التي حذر منها الرسول الكريم - حيث قال أنها مثلت نموذجاً حي للقومية والحمية الجاهلية التي أدت إلى انشطار جماعة المسلمين، إلى سنة وشيعة ومن ثم كان من نتائج الصراع على السلطة<sup>(2)</sup>.

ويردف مالك قائلاً في موضع آخر: "ولست أدري لماذا لم ينتبه المؤرخون إلى هذه الواقعة التي حولت مجرى التاريخ الإسلامي ، إذا أخرجت الحضارة الإسلامية إلى طور القيصرية الذي يسوده عامل العقل، وتزينه الأبهة، والعظمة في

(1) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص12.

(2) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص ص30،29.

الوقت الذي بدأت تظهر فيه بوادر الفتور الدالة على أفول الروح وكما قال أن أي فكر قومي لا بد أن نخضعه لرابطة العقيدة الإسلامية، فكل تفاخر بالأنساب والجنس واللغة واللون والقوم فهو حرام، وهو ما تؤكد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهذه الأفكار والقومية، لا يمكن أن تؤسس لدولة مدنية ديمقراطية، أياً كانت هذه القومية ومعظم القوميات في العالم الإسلامي، أثبتت التجارب التاريخية فشلها، والبديل هو منح الحرية والسيادة لشعوب العالم الإسلامي لتختار من يحكمها" (1).

وبالرغم من موقف مالك بن نبي من القومية والعصبية، إلا أنه مدح الرئيس جمال عبدالناصر، رائد القومية العربية حيث عده مثلاً للفكر القومي، وأنه يعمل على إنشاء النهضة العربية المنطلقة من صميم حياة العرب وتاريخهم، وايد بن نبي الرئيس عبدالناصر في دعوته للقومية العربية وتحقيق الحضارة العربية، من خلال التخطيط الذي يؤدي إلى تحقيق مصير الأمة العربية والإنسانية جمعاً، وإن ذلك سيتحقق من خلال معادلته الحضارية للإنسان، التراب، والوقت وكما قال بأن المشروعات التي وضعتها مصر، ستحقق طفرة في تاريخ الأمة العربية (2).

حقيقة يمكن القول بأن مالك بن نبي وافق على الفكر الناصري في تحديد السياسة الخارجية للقومية العربية والقائمة على الحياد ، وعدم الانحياز حيث قال " فإن كل عربي يعلم أن نظرة جمال عبدالناصر، خطت للنهضة العربية الاتجاه الصحيح الذي يحقق وحدة المصير، ومن يخط سياسته الخارجية ، على مبدأ الحياد الإيجابي مثل ما فعل عبدالناصر فإنه يضمن للأمة العربية ولنهضتها شروط الانسجام مع القانون العام فيما يتصل بوحدة المصير" (3).

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص53.

(2) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص190-200.

(3) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص178.

## رابعاً- موقفه من الديمقراطية:

مفهوم الديمقراطية لغة كلمة يونانية دخيلة على اللغة العربية وهي كلمة مأخوذة من لفظتين يونانيتين (ديموس) ومعناها الشعب والثاني (كراتوس) ومعناه السيادة، لتعنى سيادة الشعب، وهي نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين لا للفرد أو لطبقة واحدة منهم<sup>(1)</sup>.

أما الديمقراطية اصطلاحاً: فهي ذلك النظام السياسي أو نظام الحكم الذي يمنح السيادة أو السلطة للشعب أو لغالبيته العظمى حيث يكون الشعب هو صاحب السلطة ومصدرها أيضاً ويمارسها بصورة فعلية<sup>(2)</sup>، وهنا فإن الديمقراطية هي حكم الشعب والديمقراطية نظام سياسي يقوم على ثلاثة أركان متكاملة حيث يتمثل ركنها الأول في سيادة الشعب، وركنها الثاني في المساواة والعدل، أما ركنها الثالث فيكمن في الحرية الفردية والكرامة الإنسانية.

أما تعريف الديمقراطية عند مالك بن نبي، والذي شاع تاريخ الكلمة من حيث المنشأ فقال " نحن لا نعرف متى درجت في اللغة العربية لوصفها مفردة مستوردة ولا نعرف حتى تاريخ حدوث هذا المصطلح في لغته الأصلية، إنما نعرف أنه صيغ في اللغة اليونانية قبل عصر بريكلينس" إذ أن المؤرخ توسيدس يذكره على لسان هذا الفيلسوف في إحدى خطبه الموجهة إلى شعب أثينا منذ خمسة قرون قبل الميلاد<sup>(3)</sup>. كما عرف هذا المصطلح بأشواقه من اللغة الفرنسية فأشار إلى أن الكلمة مركبة من مفردتين يونانيتين، وتعنى سلطة الشعب أو سلطة الجماهير، أي بتعبير تحليلي

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1982، ص569.

(2) مولود ديدان، مباحث في القانون الدستوري والنظم السياسية، دار النجاح، الجزائر، 2005، ص138.

(3) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص66.

موجز سلطة الإنسان، وكما قال أما عصرنا فقد ورثت الديمقراطية من الثورات التي غيرت النظام الملكي في إنجلترا إلى نظام دستوري، وفي فرنسا إلى نظام جمهوري، وربط مالك بن نبي تكون هذا المفهوم بالظروف التاريخية التي ظهرت في العالم العربي، وكيف تبلورت فيه الديمقراطية من فكرة إلى مفهوم في عصرنا، حيث قام بتحديد جوهر الديمقراطية وفقاً لثلاث أوجه تمثلت في الديمقراطية بوصفها شعور نحو الأنا، وبوصفها شعور نحو الآخرين، إضافة إلى وصفها مجموعة الشروط الاجتماعية والسياسية الضرورية لتكوين وقيمة هذا الشعور في الفرد، واعتبر مالك أن هذه الأوجه الثلاثة بمثابة الشروط الذاتية والموضوعية للديمقراطية، ويؤكد أن هذه الشروط ليست من وضع الطبيعة بل هي خلاصة ثقافة معينة وتتويج لحركة الإنسانية وتقدير جديد لقيمة الإنسان وتقديره لنفسه وتقديره للآخرين<sup>(1)</sup>.

والحقيقة العامة بالنسبة إلى الشعور الديمقراطي تبرز عندما تخلص الموضوع من قيود التاريخ والسياسة، ويعبر عن الأشياء بمصطلح علم النفس وعلم الاجتماع، ثم يوضح القانون العام لهذا الشعور " فالقانون العام بالنسبة إلى هذا الشعور، نتيجة لإطراء اجتماعي معين، فهو بالمصطلح النفسي، الحد الوسط بين طرفين كل واحد منهما يمثل نقياً للآخر، النقيض المعبر عن نفسه المستبد من ناحية أخرى، فالإنسان الحر أي الإنسان الجديد الذي تتمثل فيه قيم الديمقراطية والتزاماتها، هو الحد الإيجابي بين نافعتين تنفي كل واحدة منهما، هذه القيم وتلك الالتزامات نافية العبودية ونافية الاستعباد"<sup>(2)</sup>، أما السلبي فهو الحد الوسط بين طرفين كل واحد منها يمثل نقياً بالنسبة للآخر، النقيض المعبر عن نفسه وشعور العبد المسكين من ناحية، والنقيض الذي يعبر عن نفسه وشعور المستبد المستبد.

---

(1) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 63، 65.

(2) المصدر نفسه، ص 64.

وبهذا فإن الديمقراطية الغربية لا تكفل الشروط الذاتية لكونها تفتقر إلى الحواجز والمقدمات المدعمة للشعور الديمقراطي ليتساءل بعدها عما إذا كانت تكفل الشروط الموضوعية، التي تتمثل في الحقوق والحريات السياسية، والضمانات الاجتماعية التي هي ضعيفة نظراً لأنها لا تحمي الأفراد من الربا والاحتكار<sup>(1)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أن المجتمعات الغربية رغم اتخاذها الديمقراطية نظاماً للحكم فإنها لم تحقق في الواقع الاجتماعي ما تتضمنه الديمقراطية وتنص عليه من مساواة وعدالة وحقوق، وحريات، وضمانات اجتماعية إذ لم تحقق الشروط المشار إليها ذاتية وموضوعية حيث اقتصر على جانب واحد<sup>(2)</sup>.

قام مالك بن نبي في إحدى محاضراته التي ألقاها وفي بعض كتاباته بتوضيح العلاقة بين الديمقراطية والإسلام، وفي محاولة لاستيضاح تلك العلاقة طرح العديد من التساؤلات والتي منها على سبيل المثال هل في الإسلام ديمقراطية؟.

فأشار إلى أن الإسلام يقرر في المجال السياسي خضوع الإنسان إلى سلطة الله في هذا النظام أو غيره ما يعنى أن سلطة الأمة في النظام الإسلامي ، مقيدة بالشرعية، لذا فالعقيدة تدعم التعاون بين الفرد والدولة، وتمكن من تحقيق إنجازات تركز على الثقة في الأساس الأول ومبادئ وشروط الثقة التي من شأنها تمتين العلاقة بين الحاكم والمحكوم وهي حسن المعاملة، والطاعة والنزاهة والحنكة والكفاءة السياسية والنقد الذاتي<sup>(3)</sup>.

ولمعرفة ما إذا كان ثمة ديمقراطية في الإسلام، طرح مالك بن نبي سؤالين وأجاب عليهما فكان الأول هل يكفل الإسلام عند الممارسة الشروط الذاتية التي من شأنها

---

(1) يوسف حسين، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص80.

(2) يوسف بوراس، الفكر السياسي عند مالك بن نبي، دار هومه للطباعة، الجزائر، 2013، ص72.

(3) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص75.

تحقيق الشعور الديمقراطي نحو الأنا ونحو الآخرين؟ واستطاع مالك إثبات ذلك حين قال بأن الإسلام جاء بمبدأ تحرير الرقيق والتصريح بحقوق الإنسان<sup>(1)</sup>.

أما السؤال الثاني هل كفل الإسلام الشروط الموضوعية التي من شأنها أن توفر للفرد الحقوق والحريات السياسية والضمانات الاجتماعية عند الممارسة؟ .

هنا نرى أن الإسلام وفر بالنسبة للحقوق والحريات السياسية شروطاً عديدة كحرية العقيدة والتعبير وحرية الرأي ، ومبدأ حصانة المنزل، أما الضمانات الاجتماعية والمجال الاقتصادي وما يتعلق به من تأثيرات، فكان فرض الزكاة، وتحريم الربا ومحاربة الاحتكار ، يقول بن نبي " إن الإسلام ديمقراطي لأنه يقرر تكريم الإنسان، ويرى أن الإسلام ديمقراطي من الواجهة الاجتماعية فقرر قائلاً منذ الآن متاح لنا التقرير بشرعية الحديث عن الديمقراطية في الإسلام " <sup>(2)</sup>.

الآن أنه وفي موضع آخر يذهب إلى أن الديمقراطية السياسية تتمثل في مبدأ الشورى التي استند عليها الحكم في الإسلام، فإن الإسلام ديمقراطي حتى من جانب الحاكمية، فقال "يصح القول بأن الحكم الإسلامي ديمقراطي في مصدره وفي عمله"<sup>(3)</sup>.

يتضح لنا ومن خلال تركيز بن نبي في عرضه للشروط الذاتية والموضوعية، والتي تكون الشعور الديمقراطي وربطها بالجانب النفسي والاجتماعي ، وهذه الشروط قد ضمنها الإسلام ونص عليها في القرآن والسنة وفي أعمال الخلفاء، وذلك حفاظاً على المسلم من الوقوع في الاستعباد، وأي شعور ينافي الشعور الديمقراطي، فالروح الديمقراطية التي ثبتها الإسلام في الفرد، تزول عندما يفقد الفرد شعوره بقيمته وقيمة

---

(1) مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص35.

(2) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص77.

(3) المصدر نفسه، ص83.

الآخرين وبذلك يكون الإسلام قد غرس في ذات المسلم كل المقومات التي جاءت بها الديمقراطية من حرية ومساواة .

وفي هذا الصدد يقول " أنه لا يصوغ لنا أن نعتبر أن الإسلام كدستور يعلن سيادة شعب معين، ويصرح بحريات، وحقوق هذا الشعب بل ينبغي أن نعتبره في سياق حديثنا كمشروع ديمقراطي، تقرره الممارسة، ونرى من خلاله موقع الإنسان المسلم من المجتمع الذي يكون محيطه وهو في الطريق نحو تحقيق القيم والمثل الديمقراطية"<sup>(1)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 133-164.



## المبحث الثاني

### موقف مالك بن نبي من التيارات الفكرية الإسلامية

أولاً : موقفه من الصوفية:

نستطيع القول بأن موقف مالك بن نبي من التصوف والصوفي، كان سلبياً، ففي تحليله العميق لكثير من أبعاد التخلف في حياة المسلمين صادف دوراً سلبياً للحركات والطرق والأفكار الصوفية، مثل: ابعاد الفردية وتضخم الشخصية وضعف السببية ووهن الفعالية وضعف قيمة النقد الذاتي وفقدان الدوافع لعمارة الأرض، وعلى سبيل المثال فإنه في قراءته للتاريخ الإسلامي، وجد أن المجتمع الإسلامي واجه أزمة فقدان المسوغات الضرورية لصناعة الحضارة من زمن مبكر، ولاحظ دوراً بارزاً للحركة الصوفية في هذا الأمر فعلق قائلاً: " تمثل حركة التصوف إلى حد ما الدوافع السلبية، التي تدفع إلى انتصار الفرد الذي فقد مسوغات حياته، فالصوفي يخرج أيضاً عن النظام الطبيعي للحياة، ويتخلص من مسؤولياتها عن طريق الأوراد والسبحة، كما يتخلص المنتحر العادي من مسؤولياته بوسيلة الخنجر، فالصوفي ينتحر بوسائل الروح"<sup>(1)</sup>.

ولاحظ مالك بن نبي أن فساد رجال التصوف الذين بثوا في الحياة الإسلامية منذ قرون عدة أوهاماً لا صلة لها بالدين، لصقت بالأذهان مما أدى إلى نشوء الكسل وفسحوا الجهل، فحارب بن نبي الخمول والركود، والقابلية للاستعمار، في المجتمعات الإسلامية، في الوقت الذي دعا فيه إلى إحياء الجانب الروحي الصوفي، واستثمار آثاره الإيجابية<sup>(2)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، مصدر سابق، ص 43.

(2) مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 167.

## ثانياً- موقف مالك بن نبي من علماء الكلام:

علم الكلام وعلم أصول الدين وعلم التوحيد والصفات ثلاثة أسماء مترادفة لمسمى واحد ومفهوم علم الكلام في اللغة يعنى الأصوات المفيدة، وهو المعنى القائم في النفس الذي يعبر عنه بالألفاظ، فيقال في نفس كلام<sup>(1)</sup>، وقد وردت عبارة كلام في القرآن بمعاني مختلفة ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾<sup>(2)</sup>، وتعنى المشافهة أما في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾<sup>(3)</sup>، فالكلام في هذه الآيات القرآنية لا يخرج عن معنى الكلام المكتوب أو مشافهة، ولم يشر إلى المناقشة والجدل الدائر حول مسائل الاعتقاد.

أما مفهوم علم الكلام اصطلاحاً: فتكاد معظم التعريفات والمفاهيم تتفق حيث قدم علماء الدين والفلاسفة العديد من المفاهيم لتعريف علم الكلام فيعرفه الفارابي: بالقول: "صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف ما خالفها بالأقاويل"<sup>(4)</sup>.

فهذا ابن خلدون يعرف علم الكلام بأنه: "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"<sup>(5)</sup>.

فمن خلال هذا التعريف نستطيع القول أن موضوع علم الكلام هو العقائد الإيمانية، وأصلها التوحيد، وهو بذلك يعد حاملي لواء هذا العلم هم أهل السنة

---

(1) محمد عبده، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي، المقدمة، ب. ت، ص5.

(2) سورة الاعراف، الآية 144.

(3) سورة الفتح، الآية 15.

(4) أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق وتقديم: عثمان أمين، ط3، القاهرة، 1968، ص130.

(5) عبدالرحمن ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص458.

والجماعة فقط، وهو بهذا يعتبر باقي الفرق الإسلامية من المبتدعة في الدين فما استحدث علم الكلام في الملة إلا لمواجهتهم وردهم إلى عقيدة أهل السنة والجماعة. وأما عن موقف مالك بن نبي من علم الكلام وعلمائه، فقد ذم هذا العلم وانتقد علمائه، حيث قال أن هذا العلم لا يبني عليه سلوك، بل هو عبارة عن تركيب ألفاظ في قوالب جديدة لا تعمل على تقوية الإيمان والعقيدة بل يعمل على إفساد المنهج السلفي، وهو في الوقت ذاته يشوه المشكلة الإسلامية، ويفسد طبيعتها حين يغير المبدأ السلفي في عقول المصلحين أنفسهم، فعلم الكلام لا يواجه مشكلة الوظيفة الاجتماعية للدين، لأن المؤمن لا يفيد شيئاً من مدرسة تعلمه مسألة وجود الله فحسب دون أن تلقنه مبادئ الرجوع للسلف، وكما يقول أن علم الكلام يمجّد الجدل وتبادل الآراء وهو في الوقت ذاته يشوه المشكلة الإسلامية ويفسد طبيعتها حين يغير مبدأ المشكلة النفسية مشكلة كلامية فعلم الكلام لا يواجه المشكلة الوظيفية الاجتماعية للدين<sup>(1)</sup>.

ويضيف أن علم الكلام لم يتجاوز حدود البرهنة على مبدأ ثابت لم يتغير فهو لم يتصل بالمشكلة في جوهرها واكتفى ببحثها في شكلها الظاهر، فهو من تحصيل الحاصل، لأنه تخلى عن البحث في أسباب تحلل الإيمان من صلاته بالوسط الاجتماعي، فهو علم عبارة عن فيض من كلام<sup>(2)</sup>.

وقد انتقد مالك منهج المدرسة الاصلاحية في إحيائها لعلم الكلام فانتقد الشيخ محمد عبده الذي ظن أن من الضروري إصلاح علم الكلام بوضع فلسفة جديدة حتى يمكن تغيير النفس بيد أن كلمة علم الكلام ستصبح قدراً سُلط على حركة الإصلاح الذي

---

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 88 ص 49.

(2) مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 18.

حاد بها جزئياً عن الطريق، وعلم الكلام يشوه المشكلة الإسلامية، ويفسد طبيعتها حيث يعبر المبدأ السلفي في عقول المصلحين أنفسهم<sup>(1)</sup>.

ويظن مالك أن العقيدة هي الإيمان بالله ولا يفرق بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية فقد يؤمن الإنسان بوجود الله، ولكنه يعرض عن عبادته والخضوع لشرعه ووضح ابن نبي هذا بقوله والمسلم جنى ما بعد الموحدين لم يتحمل مطلقاً عن عقيدته، فلقد كان مؤمناً، ولكن عقيدته تجردت عن فاعليتها، وإن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي أن نشعره بوجوده، ونملاً به نفسه<sup>(2)</sup>.

فمالك بن نبي بنظرته يعلم أن الرجوع إلى منهج خير القرون هو الصواب، وفي موضع آخر يرى مالك بن نبي أن إصلاح الفرد يجب أن يكون على أساس إصلاح علم الكلام ليصح عقيدته وغير أن علم الكلام هذا سيكون مصيبة على حركة الإصلاح فيخرب بها رويداً رويداً ليقبل من قيمة بعض مبادئها الرئيسية كالقول بالانزعة السلفية، والعودة إلى روح الإسلام الأول وذلك لأن علم الكلام لا يتعرض لمشكلة النفس إلا في ميدان العقيدة، ولم يتخل المسلم عن عقيدته، حتى وإن أصبحت غير مجدية لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي، وأسست ذاتية فهي عقيدة فرد قد انفصل عن بيئته الاجتماعية<sup>(3)</sup>.

ويقدر أن المشكلة ليست في إعادة العقيدة، ولكن في إعادة الإشعاع والفاعلية لهذه العقيدة، فأنفس إنسان ما بعد الموحدين كانت ولا زالت في حاجة إلى التدليل عليها، وعلم الكلام يعجز عن بعث ذلك الشعور في الضمير، حيث أن بعض الجماعات الإسلامية قامت على أساس التدليل على الألوهية بطريق علمي وفلسفي، بيد أن الضمائر والنفوس تظل جافة لأنها محرومة من الشعور بالألوهية، ذلك

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 58.

(2) سعد السحمراني، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، مرجع سابق، ص 111.

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 145-146.

الفيض النوراني الذي يعجز الفكر وحده عن مد النفس به، وأضاف بن نبي بأن الأنبياء لم يكونوا علماء كلام يصوغون النظريات المجردة، بل كانوا مصدرًا لهذه الطاقة الأخلاقية التي كانوا يمدون بها النفوس السانجة<sup>(1)</sup>، ونادى مالك بضرورة إيجاد علم جديد أسماه تجديد الميثاق يصل من خلاله الفرد بنفسه لذاك الشعور ويرجع مالك بن نبي الأسباب التي أدت إلى فشل الحركات الإصلاحية وعدم نجاحها إلى إنها اتخذت علم الكلام أساس الإصلاح، كما حدث مع حركة محمد عبده والافغاني قبله<sup>(2)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص47، ص49.

(2) محمد البهمي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط6، دار الفكر، بيروت، 1973، ص123.

## تعقيب

من خلال ما تم عرضه تري الباحثة بأن ما قام بعرضه المفكر مالك بن نبي بفحص وتمحيص واقعه المعاش، فكرياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً، حيث قام بالمراجعة والتقويم للفكر الإصلاحية الذي شهده عصره، وانتهى إلى غياب الرؤية الفلسفية إلى الإنسان والتاريخ والحضارة، مما جعل أن فكرة الإصلاح والتجديد عنده تنصب على مراجعة وتقويم ونقد جوانب عديدة من الفكر الإسلامي القديم، مثل المحاولات الإصلاحية لزعماء الإصلاح والتجديد في العصر الحديث، مثل دعوة جمال الدين الأفغاني، ودعوة محمد عبده، وغيرهما، خاصة دعاة المسالمة مع الاستعمار والفكر الغربي، فقام بنقد جوانب كثيرة من الفكر الإسلامي وأخرى في الفكر الغربي كما انتقد الحركة الإصلاحية الحديثة وفي العالم الإسلامي، وكان يقتبس من الفكر الغربي ولا يرى في ذلك حرجاً، مادام لا يتعارض مع القيم والمبادئ التي يؤمن بها، ولا تتعارض مع الإسلام كما انتقد بشدة الفكر الإلحادي الغربي.

## **الفصل الرابع**

### **مالك بن نبي ومستقبل المجتمع الإسلامي المعاصر**

**المبحث الأول: واقع المجتمع الإسلامي في فترة الاستعمار**

**المبحث الثاني: أثر العالم الغربي في العالم الإسلامي**

## المبحث الأول

### واقع المجتمع الإسلامي في فترة الاستعمار

تعرض المجتمع الإسلامي في العصر الحديث للغزو الاستعماري العسكري والفكري والثقافي الأوربي، الذي بذل كل ما في وسعه لطمس الشخصية العربية الإسلامية.

وقد اختار مالك بن نبي لهذه الفترة وما قبلها، مصطلح إنسان ما بعد الموحدين، حيث وقعت الأمة الإسلامية في أزمة حضارية خانقة مست حياة المسلمين الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية<sup>(1)</sup>.

فبعد أن سيطر المستعمر على الأرض حاول تغيير المشهد الثقافي واجتثاث العقيدة من جذورها فسخر لذلك كل القوة المادية والمعنوية فزاد العالم الإسلامي ضعفاً وانحطاطاً ويقول بن نبي " أن الاستعمار يقوم بتدمير كل شيء ويشوه المجتمع ويمسح قيمه فهو محو منهجي للآخر ويحاول اجتثاث العقيدة من جذورها أو العمل على تشويه صورتها في النفوس والأذهان"<sup>(2)</sup>.

ويعد الاستعمار نكسة من الوجهة التاريخية في التاريخ الإنساني ذلك بأن أصوله تعود إلى روما، التي وضعت طابعها الاستعماري في سجل التاريخ، ويرى ابن نبي أن صورة أوربا الاستعمارية تجسدت في العهد الروماني، وما خاضته الامبراطورية الرومانية من حروب كانت إرهاباً للحروب الاستعمارية<sup>(3)</sup> وكما هو معروف وصف

---

(1) علي الإدريسي، من حضارة الترف إلى حضارة الأفكار والقيم، مجلة عصور، العدد الثاني، الجزائر، سنة 2002م، ص14.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص152.

(3) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص62.



المستعمرون الأوروبيون المسلمين بصفات كثيرة كالأمة اللقيطة، أو الشعب الهمجي الخالي من عواطف النبل، والأمة الساذجة (1).

وفي ظل هذه السياسة وهذه الظروف المستعصية التي مر بها العالم الإسلامي، شهد نكسة حضارية وضعف استشرى في جميع مناحي الحياة، "فظل العالم الإسلامي خارج التاريخ دهرًا طويلاً، كأن لم يكن له هدف، استسلم المريض للمرض وفقد شعوره بالألم، حتى كأنه يؤلف جزءاً من كيانه" (2)، ومن خلال كتابات مالك بن نبي نلمس مدى اهتمامه بمحاولة إظهار مشكلات العالم الإسلامي ووضع اليد على مكنن الداء، ومحاولة إيجاد علاج له، ذلك لأن مالك بن نبي قد عايش معظم حملات الاستعمار ومحاولات الاستقلال في هذه المنطقة، وهنا نلاحظ أن مالك اتجه في تحديد مشكلات العالم الإسلامي اتجاهاً مغايراً فخالف القائلين بأن مشكلات العالم الإسلامي تعود إلى الجهل، والفقر والاستعمار، حيث رأى "أن الفقر والجهل والاستعمار ما هي إلا نتائج لأسباب سابقة أصولها موجودة في أنفسنا" (3).

فرفض منطق التساهل الذي يحيل مشكلات المسلمين إلى مشكلة فقر يكون حله الغنى، ومشكلة جهل حله العلم، ومشكلة استعمار حله الاستقلال، حيث قال "فالعالم الإسلامي يتعاطى هنا حبة ضد الجهل، ويأخذ قرصاً ضد الاستعمار، وفي مكان قصي يتناول عقاراً كي يشفى من الفقر، فهو يبني هنا مدرسة ويطالب هناك باستقلاله وينشئ في بقعة قاصية مصنعاً، ولكننا حين نبحث في حالته عن كُتب لن نلمح شبح البرء" (4).

---

(1) جوزيف آرتر، أحكام الغرب حول المسلمين والعرب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ب. ت، ص 28.

(2) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 176.

(3) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 124.

(4) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 64.

حل مالك بن نبي مشكلات العالم الإسلامي تحليلاً مغايراً فرأى أن مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم أن يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها، ولهذا كانت حركة النهضة في العالم الإسلامي تسير ببطء، ثم أنها لم تكن تتجه نحو إنشاء حضارة، أو على الأقل أنها لم تنظم اتجاهها نحو الحضارة، فلم تتخذ من الحضارة غاية لها، وذلك لوجود عوامل تعطيل كالعوامل الفكرية والنفسية التي أثرت في اتجاهها تأثيراً سلبياً فكانت معالجة المشاكل التي تعترض نهضة العالم الإسلامي وضرورتها الداخلية والخارجية بعادات فكرية معينة وليس حسب طبيعة الأشياء<sup>(1)</sup>، إضافة إلى عدم تحديد الوسائل تحديداً يناسب الغاية المنشودة والإمكانيات، حاول مالك بن نبي من خلال مؤلفاته ومحاضراته أن يقف على المشاكل التي كان يعاني منها العالم الإسلامي، وكانت سبباً في تأخره عن ركب الحضارة، فمن المشاكل التي وجه إليها بن نبي كانت نزعه التسامي والتعالي، حيث إن المجتمع الإسلامي يعاني من نزعة الكمال التي تولدت عن مركب النقص الذي توارثته الأجيال ذلك بما خلقه الاستعمار في نفسية الشعوب من إحساس بالدونية هذا ما جعل رد فعل معاكس ينتج عند الفرد، وهو التغني بأمجاد الماضي وأعمال السلف فركن المسلمون إلى الوراثة عن طريق امتداح الماضي، وذكر مناقب السلف فبدلاً من أن يثمر العمل ويخلق في الذات الرغبة في التقدم خلف مرضاً تمثل في التعالي الذي يعكس أزمة تجلت في سلوك اضطراري مفعم بالهيجان العاطفي المدمر، فعقدة التعالي والتسامي هي إحدى العوائق الثقافية التي جعلت العقل الإسلامي عاجزاً عن فهم مشكلاته الحقيقية<sup>(2)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، حديث في البناء والتجديد، المكتبة العصرية، لبنان، 1959، ص 188-196؛ راجع أيضاً

مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص 63.

(2) عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرفة من فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 81.

وفي هذا الصدد قال بن نبي " فحين اتجهت الثقافة إلى امتداح الماضي، أصبحت ثقافة أثرية، لا يتجه العمل الفكري فيها إلى الأمام بل ينكص إلى الوراء وبذلك أصيبت الأفكار بظاهرة التشبث بالماضي فكأنها أصبحت متنفساً" (1).

وإضافة إلى ذلك ونتيجة لتلك العقلية والتفكير برزت مشكلة أخرى وهي الشعور بالكمال حيث ظهرت عقلية نحن مسلمون إذن نحن كاملون(2)، وهذا الشعور في رأى مالك بن نبي يفتك باي بارقة أمل لتغيير أوضاع المسلمين، فيجد المسلمون أنفسهم غارقون في حكايات الماضي وسرد تاريخ الأجداد في حين أن الغرب الأوربي يبحث عن شروط النهضة ويقتبس من الإسلام ما يساعده على ذلك ، وفي هذا المضمار سعى بن نبي إلى أن يعرف الإنسان المسلم بثقافة معرفة حقيقية ويعود إلى أصوله العقيدية والفكرية والأخلاقية، لتحويل فخره واعتزازه النظري إلى سلوك عملي، ذلك أن مالك بن نبي لم يكن معادياً للأصالة بل على العكس من ذلك كان معتزلاً بانتمائه العربي الإسلامي فيعتبر أن قراءة التراث والاعتزاز به يكون عودة للوراء للاندفاع أقوى للإمام ، وأنه من الوهم أن تعتقد جماعة أن تراثها بمفرده مهما كانت عظمتها يمكن أن يحفظ لها استقلالها وحريتها ونجاحها التاريخية(3)، فيتضح أن مصير الأمم مرهون بمقدراتها على أن تجعل من تراثها وثمرتها أجيالها الماضية وتراكماتها رأس مال قابل للتوظيف في عمليات التجديد والتحضر .

وتعد المشكلة الثانية التي حاول بن نبي توضيحها وكشف النقاب عنها فكانت إحلال الفكر وطغيان الأشياء والأشخاص، فكل حضارة تقوم على ثلاثة عوالم هي الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء، ويوجد ارتباط بين هذه العوالم الثلاثة في شكل شبكة علاقات اجتماعية وهذه العوالم لا ينشأ مجتمع بدونها فيقول مالك بن

---

(1) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص50.

(2) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص77.

(3) زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1971، ص12.

نبي "فإن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده"<sup>(1)</sup>، وإذا تغلبت أحد هذه العوالم على الآخر فإن ذلك سيؤثر حتماً على شخصية الفرد وسلوكه، والخلل هذا يشكل مصدراً للصعوبات التي تواجه المجتمعات البشرية فالعالم الإسلامي يعاني من هذه الصعوبات والطغيان للأشياء في جميع المجالات والأصعدة النفسية والأخلاقية حيث انزلق نحو تقييم كل الأمور بمقياس الأشياء، فعلى سبيل المثال على الصعيد الاجتماعي تصاغ الحلول بعيداً عن خصائصها النوعية، بل بصياغات كمية تستبعد فيها سلطة المجتمع ويظهر التبذير للموارد والثروات<sup>(2)</sup>.

إضافة إلى ذلك يعاني العالم الإسلامي من طغيان الأشخاص ذلك بأن تتجسد الأفكار في شخص فتعكس أخطاه على الفكرة ومن ثم على المجتمع<sup>(3)</sup>.  
وكما يعاني العالم الإسلامي من طغيان الأفكار ذلك بأن المثقف يفقد تكيفه مع الحياة الاجتماعية ولا يستطيع الإيمان بدوافع الحياة الاجتماعية والبلد المحروم من مظاهر الحضارة والمدنية يفرط في تكديس الأشياء بإسراف والبلد المتشبع بالأشياء يهرب منها، وعن ذلك يقول بن نبي " فالمجتمع المحروم يستسلم لسيطرة عالم الأشياء التي حُرِم منها، والمجتمع المكتظ يتمرد على سيطرتها، ولكنهما بهذا الانفعال المزدوج يواجهان نفس الداء: هو طغيان الشيء الذي تختلف أعراضه، وإن اتفقت نتائجه النفسية"<sup>(4)</sup>.

وفي اتجاه آخر نرى أن الشعوب المستعمرة تقبل ما يصدر عن الزعيم ولو كان خطأ بينما ترفض ما يصدر عن الاستعمار ولو كان صدقاً، ومرد ذلك إن

---

(1) مالك بن نبي، ميلاد مجمع، مصدر سابق، ص28.

(2) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص18.

(3) علي القرشي، التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، ط1، القاهرة، 1986م، ص178.

(4) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، مصدر سابق، ص110-111.

المفاهيم والآراء في الأوساط الإسلامية لا تتأس في عالم الأفكار، وإنما في عالم الأشخاص ، فمشكلة المسلمين ليست في نقص الأشياء ولا طبيعة الأشخاص وإنما في فكرهم فالكثير من الأفكار السائدة في العالم الإسلامي التي تعد مرضاً مستشري في جسده، ومن هذه الأفكار على سبيل المثال المطالبة بالحقوق دون تأدية الواجبات، ذلك لأنها الطريق الأسهل الذي تنتهجه الشعوب المستعمرة عند مطالبتها بالاستقلال، وفي هذا الموضوع كتب بن نبي "لقد أصبحنا لا نتكلم إلا عن حقوقنا المهضومة، ونسينا الواجبات ونسينا أن مشكلتنا ليست فيما نستحق من رغائب بل فيما يسودنا من عادات وما يراودنا من أفكار، وما فيها من نقائص تعترى كل شعب نائم"<sup>(1)</sup>.

أما المشكلة التي ركز عليها مالك بن نبي حديثه، مشكلة التكديس والتي عانى منها العالم الإسلامي؛ حين بدأ يشعر بتخلفه أثر احتكاكه بالحضارة الغربية التي انطلق منها الاستعمار، فأخذ العالم الإسلامي يبحث عن علاج للمرض دون أن يحدد طبيعة هذا المرض، فتوجه إلى صيدلية الحضارة الغربية ينشد منها الدواء، وبهذا العمل إما أن يحصل على الدواء الذي يشفيه، أو يحصل على دواء مميت لأنه لا يناسبه<sup>(2)</sup>.

ومنذ استيقظ العالم الإسلامي من تخلفه، أخذ ينهض في اتجاه حضارة منشودة، ولكن كان يسير في مكانه ببطأ نحو الحضارة التي نشدها مفكرو النهضة والإصلاح حيث اتجه نحو التكديس، تكديس عناصر الجمع وليس بناء المجتمع كما فعلت اليابان منذ نهضتها 1868م، وقام مالك بن نبي بوضع مقارنة بين العالم الإسلامي واليابان، فقال "إن مثلينا كرجلين أراد كل منهما أن ينشئ عماره، فالأول اشترى الحديد والآلات والأحجار وكل ما يلزم لإنشاء العمارة وتركها في موقع البناء. أما الثاني فقد أخذ يشتري جزءاً من مواد البناء، ويبني فما هي إلا بضعة شهور حتى

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 37.

(2) المصدر نفسه، ص 45-46.

أقام عمارته، بينما الأول لم يفعل شيء سوى أنه اشترى مواد البناء وتركها مكدسة بلا تفعيل"<sup>(1)</sup>.

أن مشكلة العالم الإسلامي أنه يعيش في فترة ما قبل الحضارة ويرتبط بمنطق الأشياء، فلن تجديه الأشياء المستوردة في تشكيل حضارته، فتكمن المشكلة في تكديس الأشياء وتكديس الدراسات، فعلياً أن نفكر في جذور المشكلة ونذكر أن القضية قضية حضارة، وأن علينا أن نكون حضارة أي أن نبني لا أن نكس، فالبناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس، ولنا في أمم معاصرة أسوة حسنة<sup>(2)</sup>.

تكمن مشكلة العالم الإسلامي في التكديس في الأفراد وفي الأشياء، في الدراسات والحلول، والانصراف عن البناء وعن الحضارة، والفرق بين نهضتنا، ونهضة اليابان أن الأخيرة وقفت من الحضارة الغربية موقف التلميذ بينما وفقنا منها موقف الزبون، فهم كانوا ينشئون حضارة، وكنا نشترى بضاعتها<sup>(3)</sup>.

ووجه مالك بن نبي اهتمامه للخوض في مشكلة أخرى من مشاكل العالم الإسلامي إلا وهي الأفكار الميتة والأفكار المميته، وقد أطلق بن نبي الأفكار المطبوعة على الأولى في حين أطلق اسم الأفكار الموضوعية على مصطلح الأفكار الميتة، ويمكن تعريف الأفكار الميتة أنها أفكار تركت ثقافية لم تصف الأفكار المميته تقليد أعمى<sup>(4)</sup>، ويقول بن نبي أن الأولى هي التي تجذب وتتادي الثانية إلى المجتمع وهذا الجذب يكون بطريقة الاختيار والنقلة وهذه النقلة، يستنتج عندنا نموذجها الأصلي الفاسد بلا مناعة، فتستنتج عندنا أفكار وأشخاصاً وأشياء فتاكة بالمجتمع.

---

(1) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 164-165.

(2) مالك بن نبي، حديث في البناء والتجديد، مصدر سابق، ص 98.

(3) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 166.

(4) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، مصدر سابق، ص 197.

## المبحث الثاني

### أثر العالم الغربي في العالم الإسلامي

يرى مالك بن نبي أن العالم الغربي اتسم من ناحية تركيبية بتكوين معين اشتركت في إيجاده عناصر ثلاثة أولها النزعة النفعية المادية، حيث تغلغل في هذا المجتمع النزوع إلى المنفعة بشكل واضح نظراً لارتباطه بالأرض، وقد ازدادت تلك النزعة عبر التاريخ رسوخاً وقوة، وكان لها فيما بعد أكبر الأثر في الاستعمار واستغلال الشعوب، والعنصر الثاني تمثل في الدين المسيحي، حيث كان له أثر في تركيب الحضارة الغربية، وإذا كان هذا الأثر قد انتزعها من الفوضى والهمجية البدائية بما وجه إليها من روح أخلاقية فقد كان النزعة النفعية من ناحية أخرى أثر في جعل تلك الأخلاق ذات بعد نفعي، ويتجلى ذلك في استعمار الشعوب الإنسانية واستعبادها.

في حين يميل العنصر الثالث في ماهياته لما لفلسفة ديكارت من مناخ عقلي أتاح الفرصة أمامه هذه الحضارة لتنظيم ضروب نشاطها الأساسية تنظيمياً علمياً، كما تدفعها دفعاً مثمراً إلى الازدهار الصناعي الذي نتج منه تطورها<sup>(1)</sup>.

ومن هنا جاء الانفصال بين العلم والضمير في العالم الغربي أو الحضارة الغربية، وأصابها ما أصاب غيرها من قبل، وأسلمها في النهاية إلى الفوضى نتيجة الانقسامات التي تعرضت لها من جراء ذلك الانفصال بين العلم والضمير، وقد حدث الانفصال الأول في مجال الأخلاق بسبب حركة الإصلاح ثم تلتها انشقاقات تدل على تخلف الضمير النصراني عن مواجهة الفجوة التي تفصله عن نزعته العقلية الناتجة عن التطور العلمي.

---

(1) عماد الدين ابراهيم عبدالرزاق، نقد الحضارة الغربية في فكر مالك بن نبي، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، 2019م، ص23.

في حين حدث الانفصال الثاني في المجال السياسي بقيام الثورة الفرنسية التي حطمت التوازن الاجتماعي التقليدي لتحل مبادئها في المساواة محل المبادئ السابقة، ولكنها لم تستطع المحافظة على التوازن فاستمرت الانقسامات في المجتمع الغربي، حتى ظهر الانفصال الأخير في هذا المجتمع بين الطبقة البرجوازية والبروليتارية، بحيث أصبح المجتمع الغربي منشقاً في النهاية إلى معسكرين، الطبقة العاملة الحاملة لواء المادية الجدلية ومعسكر البرجوازية الحاملة لواء المادية العملية بحيث أصبح التعارض قائماً ليس في المجال الفلسفي فقط وإنما في المجال السياسي<sup>(1)</sup>.

حيث أصيب المجتمع الغربي في هذه الفترة بانفصال في أوضاعه الأخلاقية والسياسية والاجتماعية، وهذه الفترة كانت معاصرة لجبروت العصر الاستعماري ولبوادر النهضة الإسلامية الأولى، وبهذه الدفعة المادية المزدوجة ألا وهي دفعة البرجوازية، ودفعة البروليتارية، تجلت أوروبا للوعي الإسلامي فإدراك نفوذها في تطوره الفكري والسياسي، فهو لم يكشف في أوروبا هذه الحضارة، بل اكتشف فوضى كانت تتعاظم داخلها الانفصالات طبقاتاً لعاملين كان لها في هذا الشأن وزن كبير متمثلاً في سرعة النمو العلمي، والتوسع الاستعماري<sup>(2)</sup>، فكان هذان العاملان سالف الذكر المحركان والمتحكمان في تطور المجتمع الأوروبي، وتعاظم الفوضى فيه فكلما تقدم في المجال العلمي زادت الشقة بين العلم والضمير، فهو قد حقق وحدة العالم من الناحية المادية بسبب التقدم العلمي، ولكن هذه الوحدة مدفوعة بمنطلق القوة والرغبة في استعباد الإنسانية، واستغلالها، إلى التناقض مع ما حققته من ناحية التقدم العلمي، فهذا التجمع بضميره المتخلف يحاول إعادة العالم إلى وضعه في القرن التاسع عشر.

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص40.

(2) مالك بن نبي، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، مصدر سابق، ص45.



فعلى الرغم من تطور وتقدم الحضارة الغربية على صعيد المجال المادي والتكنولوجي وما حققته هذه الحضارة من طفرات في هذا المجال أدى إلى رفاهية الحياة المادية، إلا أن هناك فجوة على مستوى الروح، وشعور الإنسان بالغربة، والاعترا ب، وهو ما يعرف بالتنبؤ أي أصبحت قيمة الإنسان تقاس بما ينتجه من سلع ومنتجات وأصبح الإنسان مثله مثل السلع تقاس بقانون العرض والطلب، ومن هنا حدثت فجوة بين الجانب المادي والجانب الروحي وأصبح هناك انفصال بين الجانب المادي والروحي، فالحضارة الغربية على المستوى المادي حققت نجاحاً منقطع النظير وأصبح الإنسان الغربي يشعر بهذا التفوق المادي التكنولوجي، ولكن على الجانب الروحي هناك ضعف روحاني، وهذا عكس الحضارة الإسلامية التي منها توازن بين الروح والمادة، وهو ما أسماه مالك بن نبي في كتاباته باسم "التوازن الحضاري" حضارة تجمع بين التراب، وقبضة الروح، ومن هنا حققت الحضارة الإسلامية مطلب التوازن أو التعادلية الحضارية أي توازن بين مطالب الجسد أي المطالب المادية ومطالب الروح، في الوقت الذي فشلت فيه الحضارة الغربية في تحقيق ذلك التوازن فشلاً ذريعاً، ففرقت هذه الحضارة في حماية المادية، وأصبح كل شيء فيها خاضعاً للكم والوزن والنسبية، وأثر هذا الوضع في المجتمع الإسلامي وذلك باتصاله بأوروبا، حيث حدث ذلك الاتصال في العصر الحديث من ناحيتين كانت الناحية الأولى بواسطة الاستعمار، حيث دخل الاستعمار إلى البلاد الإسلامية والعربية، فكان الاتصال بين الحضارة الغربية، والمجتمع الإسلامي حيث استهدفت أوروبا المجتمع الإسلامي في توسعها الاستعماري، بدافع الحروب الصليبية والنفعية، وفي هذا المقام قام مالك بن نبي بتقويم الاستعمار الأوربي من الناحية الاجتماعية، وفقاً لنظريته القابلية للاستعمار، ومن تلك الرؤية فإنه ينظر إلى آثار الاستعمار الإيجابية والسلبية، وينقد أولئك الذين لا يرون الغرب إلا من زاوية واحدة، حيث يقول أن أوروبا لم تحكم العالم فقط، بل غيرته أيضاً، فالعالم الراهن قد وجد

تحت وطأة عصاها السحرية، أو تحت وطأة سوطها اللعين، والحق أن هذا هو الشكل المزدوج الذي يكون جملة الدور التاريخي الذي قامت به أوروبا منذ قرنين من الزمان فلو أننا لم نتحدث إلا عن عصاها السحرية، كما يفعل الاستعمار فلسنا نستخدم سوى شهادة زور في التاريخ، وكنا أيضاً نقدم شهادة أخرى مزورة لو أننا اقتصرنا منهجياً على التحدث عن سوطها، فأوروبا لم ترد تمدين العالم هذا حق، ولكنها وضعت على طريق الحضارة حين جعلت تحت تصرفه الوسائل المادية ليتبع هذا الطريق، حيث أمدته بإرادة للسير فيه<sup>(1)</sup>.

ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن بن نبي كان موضوعياً في الحكم على الحضارة الغربية، حيث أنه لم يرفضها وينتقدها لمجرد النقد، بل تناولها في إطار موضوعي. فأعترف بأن هذه الحضارة لها جانب إيجابي وجانب سلبي، ولم يمانع مالك في أن نأخذ كل ما هو إيجابي في الحضارة الغربية، وبما يعود على الشعوب العربية والإسلامية بالنفع، فليس كل مافي الغرب شر، ويجب أن تكون هناك موضوعية في التعامل مع الآخر، ومن هنا جاء موقف مالك بن نبي من الحضارة الغربية بالتعامل الموضوعي، ومنهج الحياد الفكري، بمعنى لا أملك انطباع مسبق أو فكرة مسبقة، بل أتعامل على أرض الواقع، فقد اعترف فيلسوفنا لهذه الحضارة بتفوقها في الجانب المادي الذي يجب أن نأخذ به إذا أردنا أن نحقق تفوقاً علمياً، وبنفس الرؤية المتوازنة اعترف بإخفاق الحضارة الغربية في الجانب الروحي.

وهكذا يرى مالك أن الاستعمار رغم ما حمله من دمار فهو من ناحية أخرى وعلى غير قصد حمل خيراً لتلك الشعوب المستعرة، حين استفزها باستعمارها لها فنفضت الغبار عن نفسها، وتكون لديها بباعث رد الفعل، وعي ذاتي، وعلى هذا فهناك إذا جانب إيجابي للاستعمار حين يجرد الطاقات التي طال عليها زمن الخمود، على الرغم من أنه يعتبر من جانب آخر عاملاً سلبياً، حين يتجه إلى

---

(1) علي الادريسي، من حضارة الترف إلى حضارة الأفكار، مرجع سابق، ص19-20.

تحطيم هذه الطاقات بتطبيقه قانون المعامل الاستعماري، ولدينا في هذا الصدد واقع ذو دلالة فإن التاريخ لم يسجل مطلقاً استمرار الواقع الاستعماري، إذ أن قوى الإنسان الجوهريّة تتغلب أخيراً على جمع ضروب التناقض، وليس معنى هذا أن المستعمر يأتي للمستعمرات ليحركها، وإنما يجيء ليشلها، ولكنه في النهاية يغير ظروف حياة المستعمر من جذورها فيساعده بذلك على تغيير نفسه<sup>(1)</sup>، وإضافة إلى ذلك رأى مالك أن الأوربي قام منذ قرنين بدور نافع في تاريخ العالم، ومهما كان موقفه من انفصال عن بقية الإنسانية المحترقة في نظره، والتي لا يرى فيها سوى سلم مجده، فإنه قد أنقذ العالم الإسلامي حينما منح نشاط الأوربي إنسان ما بعد الموحدين إلهاماً جديداً لقيّمته الاجتماعية، حين نسف وضعه الاجتماعي الذي كان يعيش فيه زمناً راضياً بالدون، وحين سلبه وسائله التي كان يتبطل بها هادئ البال حالماً فإنسان أوروبا قام دونما قصد بدور المفجر الذي نسف معسكر الصمت والتأمل والاحلام وبذلك شعر إنسان ما بعد الموحدين كما شعر بوذي الصين وبرهمي الهند، بهزة انتقض بعدها مستفيضاً ليجد نفسه في إطار جديد لم تضعه يداه، فهو ملزم على الرغم من تأخره وانحطاطه، بأن يحافظ على الحد الأدنى من كرامته، وهو أمر يتطلبه الإسلام لجميع معتنقيه، وهو ملزم أيضاً بأن يضمن لنفسه الحد الأدنى من الحياة في مجتمع قاس، لا يعول البتة صلوكاً يعيش على الغارة، أو مترهداً يعيش على صدقات الناس، فقد زالت من الوجود كل إمكانيات التبطل من ذلك الحين، لقد وجد المسلم أن عليه أن يبحث عن أسلوب في المعيشة يتفق وشرائط الحياة الجديدة في كلاً من المجال الخلفي والاجتماعي.

ويلاحظ مالك بن نبي وجود أثر إيجابي غير مباشر للاستعمار بالذات في حركات الإصلاح، التي قامت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، حيث قال

---

(1) عبدالله العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، مرجع سابق، ص3.

"لقد سبب حرية أوربا جروحاً شنيعة للإنسانية، وأحدثت قروحاً رهيبة في بدنها، ولكنها في الوقت نفسه قد فتحت ثغرات في المجتمعات التي انسحبت من التاريخ أو التي لم تدخله، ومن هذه الثغرات جاءت نسمة جديدة نسمة باغية تجني أشكالاً بليت، وتحرك حياة جمدت، وكلما أردنا تحليل الأسباب التاريخية لهذه النهضة التي حددت العالم المستعمر خلال النصف الأخير من القرن الماضي فأنا نجد تأثير أوربا، فجميع النهضة التي رأت النور في ضمير الشعوب المستعمرة قد تغذت من الضمير نفسه الذي أودعته فيه الموجه الاستعمارية"<sup>(1)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 253.

## تعقيب

انطلق فكر مالك بن نبي من واقع العالم الإسلامي ومن تخلفه ومشاكله اليومية، في الدين والاجتماع والثقافة والسياسة والأخلاق وغيرها، وهي مشكلات حضارة في الأصل والجوهر، قام هذا الفكر بتحليل واقعه وتحليل واقع الأمم المتحضرة في عصره، وانتقدتهما بطريقة علمية، كما حل وانتقد الحياة الفكرية في العالم الإسلامي المتخلف، وفي أوروبا الحضارة، وركز على استيعاب ونقد الفكر الإصلاحى الحديث والمعاصر في العالم الإسلامي، وفلسفة التاريخ، انبثقت عن هذه الدراسة النقدية التي قام بها مالك بن نبي نظريته في الحضارة، وفي التجديد الحضاري، هذه النظرية التي تؤكد على البعد الروحي الديني للحضارة، لكون الفكرة الدينية تؤلف بين عناصرها، وتوجد الانسجام بين شروطها ولوازمها، كما تضمن لها البقاء والاستمرار والازدهار، ولا حضارة في غياب العدة الدائمة وتمثل عناصر الحضارة الثلاثة، الإنسان والتراب والوقت، وهي ذات طبيعة اجتماعية تاريخية بالدرجة الأولى، وتوفر الفكرة الدينية والعدة الدائمة، يقتضي فعل التغيير الذي يجرى في داخل نفس الإنسان، وفي أعماق ذاته، ثم يجرى في المحيط الذي يعيش فيه، وهي سنة سنّها الله لتسير عليها الحياة.

والتغيير يسمح للإنسان بأن ينتج حضارته بنفسه، بعيدا عن الاستيراد والتبعية والمديونية الحضارية، فالحضارة الحقّة هي التي تلد منتجاتها، وليس العكس. لذا يجب التمييز بين البناء والتكديس، والأخذ بالبناء لا التكديس، فمن السخرية والسخافة حسب مالك بن نبي عكس القاعدة التي تقول "الحضارة تلد منتجاتها"، ويبقى التوجيه شرطا ضرورياً لكل صحوة أو نهضة حضارية، توجيه الإنسان، وتوجيه الأفكار وتوجيه الأشياء، هذه الحضارة عبارة عن تغير يجرى على الإنسان في عالمه النفسي الداخلي، وفي العالم الخارجي، أساسه روحي، يظهر في الحياة بجميع

مجالاتها، ويتجلى في النهاية في صورة تقدم ازدهار روحي، وتقدم ازدهار مادي،  
ومتى حصل التوازن والانسجام والتكامل بين الجانب الروحي والجانب المادي،  
وازدهر كل منهما، بلغ الإنسان قمة الحضرة التي هي غاية التاريخ والمجتمع  
ومبتغى الإنسان.

## الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة يمكن رصد النتائج الآتية :

نستطيع القول أن المفكر والمصلح الإسلامي الجزائري مالك بن نبي قد تمكن من تحليل الواقع الاجتماعي، الثقافي التربوي، السياسي والاقتصادي، للعالم الإسلامي فانطلق من المنهج والنص الإسلامي حتى يعطي لنا الأسس والمبادئ التي تنهض بها المجتمعات الراقية، ومن هنا جاءت فكرة التجديد والإصلاح في مشروع بن نبي نتيجة واقع المسلمين المتردي، وتُشكّل محاولة فكرية لتغيير النفس والفكر والواقع في العالم الإسلامي، تميزت بالقوة لارتباطها بالإسلام وبالعلوم المزدهرة وبالفكر الإسلامي، وتُشكل رؤية فلسفية إلى الإنسان والحياة والتاريخ والحضارة، وتمثل مشروع خطة ذات طابع فكري نظري، للنهضة وللتجديد ولبناء الحضارة، وللدخول إلى التاريخ، وإلى حلبة المعترك الحضاري، واحتلال أمة الإسلام لمكانتها اللائقة بها في إطار الحوار والتواصل الحضاريين.

كما يمكن القول بأن الفكر الإصلاحي عند مالك تميز بالقوة والمتانة نظرا لصلته المباشرة بواقع وحياة المسلمين في العالم الإسلامي المعاصر، ولتعبيره عن مشاكلهم وهمومهم، وعن آمالهم وتطلعاتهم، وبلوغه مستوى رفيع من الحقيقة في مناهجه وأساليبه لأنه أخذ بالدين والعلم والتاريخ، واستطاع أن يكفل التوازن بين طرفي الكمال، الروح والمادة، الدين والدولة، الدنيا والآخرة، فما أحوج العالم الإسلامي المعاصر إلى المشروع للتجديد ولبلوغ السمو الروحي والأخلاقي، ولبناء حضارة تلد منتجاتها الفكرية والمادية، ولضمان التوازن بين المثال والواقع، بين الروح والمادة، وبين الدين والدولة، ذلك هو عين التحضر وقمّته، وهو مبتغى الإسلام ومقصده، فالحضارة هي التمكين لقيم ومبادئ الإسلام على أرض الله.

وكذا ترى الباحثة إن المعطيات الإصلاحية التي وضعها مالك بن نبي والتي تحدد وفق الثقافة والتربية والأخلاق، كما أطلق عليها بالتوجيه الثقافي، تمثل القاعدة الإصلاحية الأساسية وإن كان يقصد بالتوجيه الثقافي تلك القواعد التي تحدد سلوكنا وقيمنا وتربيتنا ومن ثم تحدد أساليبنا في النهضة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية جمعاء، وتفسر أن التغير إنما ينبع من النفس الإنسانية وتهذيبها وفقاً للتوجيه الثقافي والتربوي الإسلامي المحض.

وهذا ما جعل منهج مالك بن نبي يتسم بالموضوعية حيث كان يتحرى الموضوعية في ما يكتب ويشدد عليه فتناول المشكلات دون مغالاة أو تقليل من شأنها، فيؤكد بن نبي علي أن استخدام المدخل الإسلامي لتشخيص النهضة والإصلاح في المجتمعات العربية والإسلامية، هو المنهج القويم والصحيح لأن الإسلام هو الذي يؤمن الوقاية من القابلية للاستعمار بثوبه القديم أو الجديد، وأن الإسلام هو المنقذ الوحيد للحرية والديمقراطية بمعناها المثالي بل يتعدى ديمقراطية الغرب، وأن الإسلام هو المنجد والحل الوسط لكل الأنظمة الاقتصادية التي أنتجها الفكر الاقتصادي الإنساني، من ثم فالتمسك بالقيم والمبادئ الدينية سيحفظ لنا كرامتنا ونهضتنا وهويتنا، والتي ستحقق المجتمعات الإسلامية بما آلت إليه من تخلف سبل إصلاحها.

وأخيراً تؤكد الباحثة بأن عرض مالك بن نبي في رؤيته للمجتمع الإسلامي المعاصر وإيضاح نظريته في القابلية للاستعمار عن طريق بيان طبيعة المرحلة التي يعيشها المجتمع الإسلامي منذ سقوط حضارته وتأثره بالحضارة الغربية من خلال رؤيته لهذا المجتمع من حيث تكوينه وتطوره والعوامل المؤثرة في نموه هي عين الصواب والحقيقة .



## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:

#### • القرآن الكريم برواية قالون عن نافع

#### • كتب مالك بن نبي

- 1- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق 2000 م.
- 2- مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق. 1981
- 3- مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، ط 3 ، دار الفكر دمشق، 2000
- 4- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط 1 ، دار الرشد، بيروت. 1969 .
- 5- مالك بن نبي، بين الرشد والتهيه، ط 1 ، دار الفكر، دمشق، 2002 .
- 6- مالك بن نبي ، تأملات، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق، 2002 .
- 7- مالك بن نبي، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط 1 ، دار الفكر، دمشق 1991 م.
- 8- مالك بن نبي ، لبيك حج الفقراء ، تر : زيدان خويلف، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق 2009 .
- 9- مالك بن نبي، مجالس دمشق، ط 1 ، دار الفكر، دمشق، 2006.
- 10- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ط 2 ، دار الفكر، دمشق، 1984.
- 11- مالك بن نبي، من أجل التغيير، ط 1 ، دار الفكر، دمشق، 2005 .
- 12- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة، وأحمد شعبو ، ط 1 ، دار الفكر، دمشق 2002 .

- 13- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1981م.
- 14- مالك بن نبي، فكرة الإفريقية والاسيوية، تر: عبد الصبور شاهين، ط 3 ، دار الفكر، دمشق ، 2001.
- 15- مالك بن نبي ، فكرة كومنولث إسلامي، تر: الطيب برغوث، ط 1 ، دار الفكر، دمشق 2000 م.
- 16- مالك بن نبي، في مهب المعركة، ط 3، دار الفكر، دمشق، 2002 م.
- 17- مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق 2002
- 18- مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 2000.
- 19- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط 1 ، دار الفكر، دمشق، 2002.
- 20- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي الجزء الثاني المسألة اليهودية، ط 1، دار الفكر، دمشق 2012 .
- 21- مالك بن نبي ، افاق جزائرية ، تر: الطيب شريف، ط 1، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ت .

#### • مصادر اخري:

- 1-أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق وتقديم: عثمان أمين، القاهرة، ط3، 1968.
- 2-محمد عبده، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي، ب. ت.
- 3-ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، تر: أمين محمود الشريف، حلب، دار إحياء الكتب، ب. ت.

## ثانيا : المراجع العربية :

- 1- إبراهيم الطيب، مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون، دار مدني للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002.
- 2- أحمد أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكراً ومصلحاً، ط2، دار النقاش، بيروت، 1986م.
- 3- أحمد الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 م.
- 4- احمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مؤسسة هنداوي، مصر 2010م.
- 5- احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، القارة، مكتبة النهضة العربية، 1957.
- 6- احمد مهساس، الحقائق الاستعمارية والمقارنة، دار المعرفة، الجزائر 2007.
- 7- اسعد السحمراني، مالك بن بني مفكراً إصلاحياً، دار النفائس، الجزائر، 1986.
- 8- اشرف دلاور، قضايا ومعالم في طريق الإصلاح الاقتصادي، ط1 ، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1994.
- 9- أشرف محمد درابة، النظام الاقتصادي مدخل ومنهاج، القاهرة، دار السلام، 2010.
- 10- تركي رابح عمارة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد لإصلاح والتربية، ط4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- 11- تركي رابح عمارة ، الشيخ عبد الحميد بن باديس: باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة، دار العلوم، الرياض، 1983م.
- 12- جمال سلطان، تجديد الفكر الإسلامي، دار الوطن، الرياض، 1412هـ.
- 13- جيلالي بو بكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، الجزائر، دار المعرفة، 2010.

- 14- حامد عمار، الإصلاح المجتمعي إضاءات ثقافية واقتصادات تورية، مكتبة دار العربية للكتاب، 2006
- 15- رابح سناني، الفكر الديني المعاصر في الجزائر، أصوله واتجاهاته، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ط1 ، 2001
- 16- زكي ميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، ط2، دار الفكر، لبنان، 1998.
- 17- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1971.
- 18- السيد الحسيني، التنمية والتخلف، دراسة تاريخية بنائية، دار المعارف، القاهرة، ط23، 1982م،
- 19- الطاهر مسعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي، لبنان، 2006.
- 20- الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، الجزائر، 1988، .
- 21- الطيب بن إبراهيم، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، الجزائر، دار مدني، 2002.
- 22- عباس فرحات، ليل الاستعمار، تعريب : أبوبكر رحال، مطبعة المحمدية، المغرب، 2002.
- 23- عبد الإله بلقزيز، خطاب إصلاحي في المغرب؛ تكوين ومصادر دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، 1417م.
- 24- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، ط2، عالم الأفكار للنشر والتوزيع الجزائر، 2007.
- 25- عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرفة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، الجزائر، 1993.
- 26- عبد الله بن العويس، مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2012.

- 27- عبدالوهاب بن خليفة، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار الطليعة، الجزائر، 2009م.
- 28- علي القرشي، التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، ط1، القاهرة، 1986م.
- 29- عماد الدين ابراهيم عبد الرزاق، نقد الحضارة الغربية في فكر مالك بن نبي، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، 2019م.
- 30- عمر النقب، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، ط1، الشركة الجزائرية اللبنانية، 2009.
- 31- عمرو محي الدين، التخلف والتنمية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- 32- فهمي جدعان، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشرق، الأردن، 1998م.
- 33- محمد البغدادي، التربية والحضارة، دار عالم الأفكار، الجزائر، 2006م.
- 34- محمد البهمي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، بيروت، ط6، 1973.
- 35- محمد عبده، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، 1905-1973، دار القلم، دمشق، 2006.
- 36- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط4، دار المنار، القاهرة، 1954م.
- 37- محمد عبد السلام الجفائري، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، د.ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م .
- 38- محمد منذر مرسى، الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث، عالم الكتب، القاهرة، 1999م.
- 39- محمود عبد المولى، العالم الثالث ونمو التخلف، ط3، تونس، الدار العربية للكتاب، 1990.

- 40- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل سيكولوجيا الإنسان المقهور، ط3،  
الدار البيضاء، 2001.
- 41- موسى لحرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر  
مالك بن نبي، جامعة باجي مختار، مختبر التربية، 2006.
- 42- مولود ديدان، مباحث في القانون الدستوري والنظم السياسية، دار النجاح،  
الجزائر، 2005.
- 43- ناصر القفاري، المؤجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الصمعي للنشر،  
ب. ت.
- 44- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، والحركة الوطنية الجزائرية من 1930  
إلى 1954، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م.
- 45- يوسف بوراس، الفكر السياسي عند مالك بن نبي، دار هومة للطباعة، الجزائر،  
2013.
- 46- يوسف حسين، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي، دار التنوير للنشر  
والتوزيع، الجزائر، 2004م.
- 47- يوسف كمال، الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، ط1، دار الوفاء، القاهرة،  
ب. ت.

### • المراجع الأجنبية المترجمة للعربية :

- 1- إ. إم بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت القرني، مجلة عالم  
المعرفة، 1992.
- 2- جورج بوليزر، أصول الفلسفة الماركسية، ج2، تر: شعبان بركات ، منشورات  
المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ب. ت.
- 3- جوزيف أرتير، أحكام الغرب حول المسلمين والعرب، دار أفريقيا الشرق، الدار  
البيضاء، المغرب، ب. ت.

- 4- روجيه جارودي، حفار القبور، ط3، دار الشروق، تر: عزة صبحي، 2000م.
- 5- شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، تر: محمد مزالي وآخرون، ط2، الجزائر، 1976م.
- 6- شارل روبير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1982م.
- 7- هنري كلود، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، ط1، تر: محمد عيناني، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1960.

### • ثالثا: المعاجم والموسوعات .

- 1- ابن منظور، محمد أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، ط3، دار صادر ، بيروت ، 1414هـ .
- 2- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط2، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1989.
- 3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1982.
- 4- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، القاهرة، 1965.
- 5- لويس معلوف، المنجد في اللغة، مجلد 1، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 2010.

## رابعاً: الدوريات العلمية:

- 1- حسن صعب، الإنسان هو الرأس مال، مجلة عالم الفكر، مجلد 2، العدد 4، وزارة الإصلاح، الكويت، 1992 .
- 2- زريمق ابوظلاق ، المشروع الحضاري عند مالك بن نبي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الزاوية ، العدد 28، السنة 2016 .
- 3- سليمان ملوكي، النظرية الاقتصادية عند مالك بن نبي، من خلال ثلاثية، توجيه رأس المال، توجيه العمل وتوجيه الوقت، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة المسيلة الجزائر، المجلد 6، العدد 10، 2013 .
- 4- عائشة يوسف المناعي، مظاهر التجديد في فكر مالك بن نبي، مجلة المسلم المعاصر، جمعية المسلم المعاصر، العدد 106، مصر، 2002.
- 5- علي الإدريسي، من حضارة الترف إلى حضارة الأفكار والقيم، مجلة عصور، العدد 2، الجزائر، السنة 2002م.
- 6- عمار جبدل، نقد مسالك المسلمين في التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة رؤى، العدد 20، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2003.



## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية القرآنية
ب	الإهداء
ج	الشكر والتقدير
5-1	المقدمة
6	<b>الفصل التمهيدي</b> <b>مالك بن نبي حياته وتكوينه العلمي</b>
15-7	المبحث الأول: سيرة وحياة مالك بن نبي
25-16	المبحث الثاني: عصره واهم الشخصيات والاتجاهات الفكرية التي تأثر بها
26	<b>الفصل الأول</b> <b>الإصلاح والتجديد عند مالك بن نبي</b>
35-27	المبحث الأول: الروافد الفكرية لمفهوم الإصلاح والتجديد عند مالك بن نبي
51-36	المبحث الثاني: شروط الإصلاح والتجديد الحضاري
52	تعقيب
53	<b>الفصل الثاني</b> <b>مشكلة الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي</b>
59-54	المبحث الأول: مفهوم الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي
77-60	المبحث الثاني: عناصر الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي
81-78	المبحث الثالث: طبيعة مشكلة التخلف عند مالك بن نبي
82	تعقيب

الصفحة	الموضوع
83	<b>الفصل الثالث</b> <b>موقف مالك من الأيديولوجيات الفكرية السائدة</b>
100-84	المبحث الأول: موقفه من التيارات الفكرية الغربية
106-101	المبحث الثاني: موقفه من التيارات الفكرية الإسلامية
106	تعقيب
107	<b>الفصل الرابع</b> <b>مالك بن نبي ومستقبل المجتمع الإسلامي المعاصر</b>
114-108	المبحث الأول: واقع المجتمع الإسلامي في فترة الاستعمار
120-115	المبحث الثاني: أثر العالم الغربي في العالم الإسلامي
122-121	تعقيب
124-123	الخاتمة
134-125	قائمة المصادر والمراجع